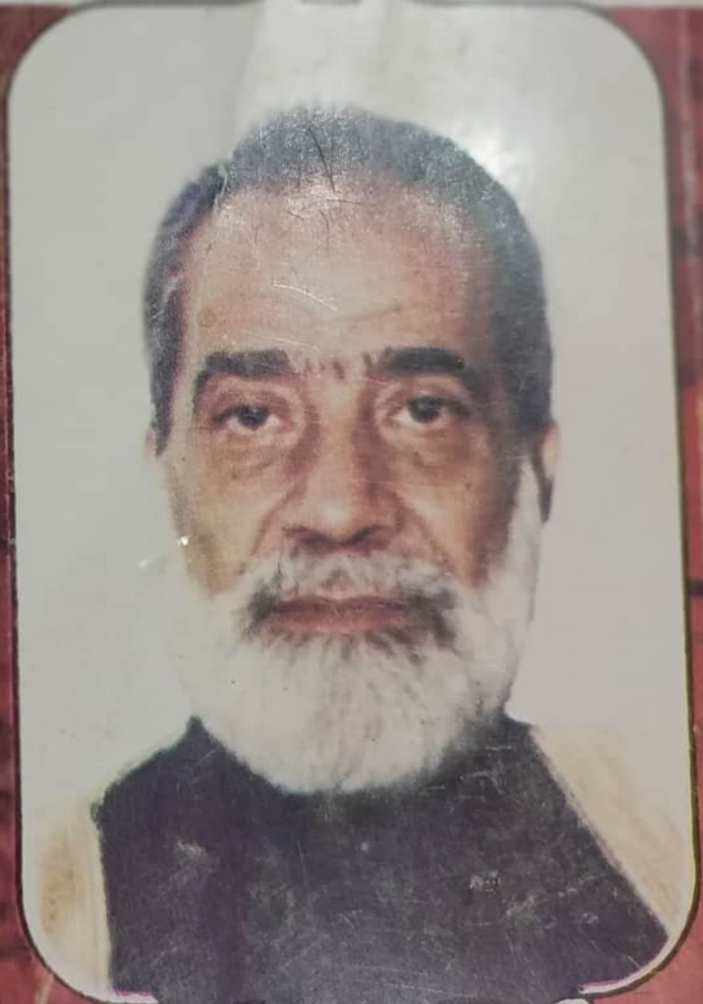
سلسلة
كتب إسلامية

٣

الطريق إلى الله



مِنَ الأحاديث القُدسيّة



الداعية الإسلامى

ياسين رشدى

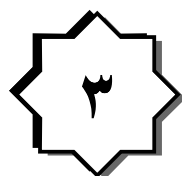




نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

الطَّرِيقُ إِلَى اللهِ

سلسلة كتب إسلامية



من الأحاديث القدسية

الداعية الإسلامى

ياســين رشــدى

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

الأزهر
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة







السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ــ وبعد :

بناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : [illegible]

تأليف : الشيخ/ ياسين رشدي ....

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية ولا مانع من طبعه على نفقتكم الخاصة .

مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بكتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

والله الموفق ،،،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

مدير عام
إدارة البحوث والتأليف والترجمة

٩١/٩/١٨

تحريرا في ٩ / ٣ / ١٤١٢ هـ
الموافق ١٨ / ٩ / ١٩٩١ م





تقديم

الْحَمْـــــــدُ لله رَبِّ الْمَشَـــــــارِق وَالْمَغَـــــــارِب ..
خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ لاَزِب .. ثُمَّ جَعَلَهُ نُطْفَةً بَيْنَ الصُّلْب وَالتَّرَائِب ..
خَلَـــقَ مِنْـــهُ زَوْجَـــهُ وَجَعَـــلَ مِنْهُمَـــا الأَبْنَـــاءَ والأَقَـــارِب ..
تَلَطَّـــفَ بِـــهِ فَنَـــوَّعَ لَـــهُ الْمَطَـــاعِمَ وَالْمَشَـــارِب ..
وَحَمَلَهُ فِى الْبَرِّ عَلَى الـــدَّوَابِّ ، وَفِـــى الْبَحْـــرِ عَلَـــى الْقَـــوَارِب ..
نَحْمَدُهُ تَبَارَكَ وَتَعَـــالَى حَمْـــدَ الطَّـــامِعِ فِـــى الْمَزِيـــدِ وَالطَّالِـــب ..
وَنَعُـــوذُ بِنُـــورِ وَجْهِـــهِ الْكَـــرِيمِ مِـــنْ شَـــرِّ الْعَوَاقِـــب ..
وَنَـــدْعُوهُ دُعَـــاءَ الْمُسْـــتَغْفِرِ الْوَجِـــلِ التَّائِـــب ..
أَنْ يَحْـــفَـــظَـــنَـــا مِـــنْ كُـــلِّ شَـــرٍّ حَـــاضِـــرٍ أَوْ غَـــائِـــب ..



وَأَشْـــــهَدُ أَنْ لاَ إِلَــــــهَ إِلاَّ اللهُ الْقَـــــوِىُّ الْغَالِـــــب ..
شَـــــهَادَةَ مُتَـــيَقِّنٍ بِـــــأَنَّ الْوَحْدَانِيَّـــــةَ لله أَمْـــــرٌ لاَزِمٌ لاَزِب ..
أَرَأَيْتَ الأَرْضَ فِى دَوَرَانِهَا : كَيْفَ تَمَسَّكَتْ بِكُلِّ ثَابِتٍ وَسَائِب !! ..
أَرَأَيْتَ الشُّمُوسَ فِى أَفْلاَكِهَا : كَيْـــفَ تَعَلَّقَـــتْ بِـــنَجْمٍ ثَاقِـــب !! ..
أَرَأَيْتَ الرِّيَاحَ كَيْفَ سُخِّرَتْ : فَمِنْهَا الْكَرِيمُ وَمِنْهَـــا الْمُعَاقِـــب !! ..
أَرَأَيْتَ الأَرْزَاقَ كَيْفَ دُبِّرَتْ ، وَهَلْ فِى الطُّيُورِ زَارِعٌ أَوْ كَاسِـــب ؟! ..
أَرَأَيْتَ الأَنْعَامَ كَيْفَ ذُلِّلَتْ فَجَـــادَتْ بِأَلْبَانِهَـــا لِكُـــلِّ حَالِـــب !! ..

أَرَأَيْتَ النَّحْلَ كَيْفَ رَشَفَ رَحِيقَ الزُّهُورِ فَأَخْرَجَ الشِّفَاءَ مَشَارِب !! ..
أَرَأَيْتَ النَّمْلَ كَيْفَ خَزَنَ طَعَامَهُ ، وَهَلْ لِلنَّمْلِ كَاتِبٌ أَوْ حَاسِب ؟! ..
أَرَأَيْتَ الْفَرْخَ كَيْفَ نَقَرَ بَيْضَهُ وَخَرَجَ فِى الْوَقْتِ الْمُنَاسِب !! ..
أَرَأَيْتَ الْعَنْكَبُوتَ كَيْفَ نَسَجَتْ وَكَمْ فِى الْخُيُوطِ مَصَائِدُ وَمَصَائِب !! ..
أَرَأَيْتَ الْوَلِيدَ كَيْفَ الْتَقَمَ ثَدْىَ الأُمِّ دُونَ عِلْمٍ سَابِقٍ أَوْ تَجَارِب !! ..
أَرَأَيْتَ الإِنْسَانَ كَيْفَ ضَحِكَ ، أَرَأَيْتَ كَيْفَ تَثَاءَب !! ..
أَرَأَيْتَ نَفْسَكَ نَائِمًا وَقَدْ ذَهَبَتْ بِكَ الأَحْلاَمُ مَذَاهِب !! ..
إِذَا رَأَيْتَ ذَلِكَ كُلَّهُ فَاخْشَعْ ؛ فَلاَ نَجَاةَ لِهَارِب ..



وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُ الْمَلِكِ الْوَاهِب ..
مَا مِنْ عَاقِلٍ إِلاَّ وَعَلِمَ أَنَّ الإِيمَانَ بِهِ حَقٌّ وَوَاجِب ..
سَلِ الْعُدُولَ وَسَلْ : هَلْ عَابَهُ فِى الْحَقِّ عَائِب ؟ ..
سَلِ الشُّهَدَاءَ عَنْهُ : هَلْ كَانَتْ لَهُ فِى الدُّنْيَا مَآرِب ؟! ..
سَلْ صَنَادِيدَ قُرَيْشٍ فِى قَلِيبِ بَدْرٍ عَنِ الصَّادِق ، وَمَنِ الْكَاذِب ؟! ..
سَلِ السُّيُوفَ سَلِ الرِّمَاحَ : هَلْ حَمَلَهَا مِثْلُهُ مُحَارِب ؟! ..
سَلِ الْغَارَ عَنِ الْحَمَامَةِ حَيْثُ بَاضَتْ فَأَغْشَتْ أَعْيُنًا كَانَتْ تُرَاقِب !! ..
سَلْ سُرَاقَةَ عَنْ قَوَائِمِ حِصَانِه : كَيْفَ سَاخَتْ فِى الصَّخْرِ حَتَّى الْمَنَاكِب !! ..
سَلْ أُمَّ مَعْبَدٍ : كَيْفَ سَقَاهَا اللَّبَنَ وَالشَّاةُ مُجْهَدَةٌ وَعَازِب !! ..
سَلِ الشَّمْسَ سَلِ الْقَمَرَ عَنْ نُورِهِ إِذِ الْكُلُّ غَارِب !! ..

سَلِ النُّجُومَ : مَتَى صَـلَّتْ وَسَـلَّمَتْ عَلَيْـهِ فِـى الْمَسَـارِب ؟! ..
سَلِ الْمَسْجِدَ الأَقْصَى عَنْ قُرْآنِهِ وَالرُّسُلُ تَسْمَعُ وَالْمَلاَئِكَةُ مَوَاكِب !! ..
سَلِ الزَّمَـانَ : مَتَى تَوَقَّفَ ، وَسَلِ الْمَكَـانَ : كَيْـفَ تَقَـارَب ؟! ..
سَلِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ : هَلْ وَطِئَهَـا قَبْلَـهُ رَاجِـلٌ أَوْ رَاكِـب ؟! ..
سَلْ أَبْوَابَها : كَيْفَ تَفَتَّحَتْ ، وَمَنِ اسْتَقْبَلَهُ عَلَى كُـلِّ جَانِـب ؟! ..
سَلِ الْمَلاَئِكَةَ : أَيْنَ اصْطَفَّتْ لِتَحِيَّتِه كَمَـا تَصْـطَفُّ الْكَتَائِـب ؟! ..
سَلِ الرُّوحَ الأَمِينَ : لِمَاذَا تَوَقَّفَ عِنْدَ الْحِجَابِ وَمَنِ الْحَاجِـب ؟! ..
سَلِ الْعُشَّاقَ عَنْ حُبِّهِم ، والنَّـاسُ فِيمَـا يَعْشَـقُونَ مَـذَاهِب !! ..
سَلْ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى عَنْ كَأْسِ الْمَحَبَّة : مَنِ السَّاقِى وَمَنِ الشَّارِب ؟! ..
يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى أَهْـلِ الْفَضَـائِلِ وَالْمَوَاهِـب ..
وَعَلَى الصَّحْبِ وَالآلِ وَمَنْ تَبِعَ عَدَدَ مَا فِى الْكَوْنِ مِنْ عَجَائِبَ وَغَرَائِب ..

أما بعد ،،

فإن « الأحاديث القدسيَّة » تعنى الأحاديث الْمُطَهَّرة المنـزَّهة ، نسبة إلى صدورها من ((الله)) – سبحانه وتعالى – وإخبار النبى (ﷺ) بـها بواسطة « جبريل » – عليه السلام – أو إلهامًا أو منامًا ، ثم يعبر عنها الرسول (ﷺ) بلفظ من عنده ، مضيفًا إياها إلى ((الله)) – سبحانه وتعالى – فى حين أن « الأحاديث النبوية » لم يضـفها إلى ((الله)) سبحانه وتعالى ..

والفارق بين « الحديث القدسِىِّ » و« القرآن الكريم » : أن نزول القرآن لا يكون إلا بواسطة « جبريل » – عليه السلام – ويكون مُقيّدا باللفظ المنـزَّل من « اللـوح

المحفوظ » .. وألفاظ القرآن معجزة ، أما « الأحاديث القدسيَّة » فغير معجزة على رغم أن النبى (ﷺ) قد أُوتى جوامع الكلم ، وهو أفصح العرب على الإطلاق ، لذا فقد تحدّى ((الله)) تعالى الكفار بـــ « القرآن الكريم » و لم يتحدهم بـــ « الحديث » ..

بالإضافة إلى أن « القرآن الكريم » يُتعبَّد به فى الصلاة ، ويحرم لمسه وقراءته لغير المطهرين ، ومن جحد به فهو كافر ، كما أنه محفوظ بحفظ ((الله)) تعالى مـــن التحريف والتغيير ، وكل ذلك لا ينطبق على « الحـــديث القدسِـــىّ » .. أيضـــا « القرآن الكريم » هو التشريع : فيه الأمر والنهى والخبر والقصص وهو مقسَّم إلى سُوَر وآيات بوحى من ((الله)) دون تَصَرُّف من النبى (ﷺ) ..

كما أن السُّوَر والآيات مرتبة ترتيبا توقيفيًّا : أى أوقف « جبريلُ » – عليـــه السلام – النبىَّ (ﷺ) على هذا الترتيب ..

أما « الحديث القدسِىّ » فلا أمر فيه ولا نـــهى ، ولا يُؤخذ منه تشـــريع أو أحكام ، وإنما هو مواعظ وحكم ، وفيه توجيه وتعليم وتزكية ، وله نور يستفيد به العبد إذا فهمه واستطاع أن يعمل به ..

يتوج كل هذا أن تلاوة « القرآن » يُثابُ عليها القارئ سواء أفهم المعنى أم لم يفهم ، كل حرف بعشر حسنات .. ولا شك أن تلاوته فى الصلاة أعظم ثوابًا ، ويضاعف ((الله)) لمن يشاء ..

نسأل ((الله)) تبارك وتعالى : أن ينفَعَنا بـــهذه الأحاديث .. وأن يرزُقَنا الجنـــةَ ونَعيمَهَا .. وأنْ يُنْعِمَ عَلَيْنا بالنَّظَرِ إلى وجْهِهِ الكَرِيـــم .. وأن يَجْمَعَنـــا مـــع النَّبِـــيينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَاءِ والصَّالِحينَ ..

القناعة بالكفاية

١ (ابْنَ آدَمَ ، عِنْدَكَ مَا يَكْفِيكَ ، وَأَنْتَ تَطْلُبُ مَا يُطْغِيــكَ .. لاَ بِقَلِيلٍ تَقْنَعُ ، وَلاَ مِنْ كَثِيرٍ تَشْبَعُ .. إِذَا أَصْبَحْتَ مُعَافًى فِى جَسَدِكَ ، آمِنًا فِى سِرْبِكَ ، عِنْدَكَ قُوتُ يَوْمِكَ فَعَلَى الدُّنْيَا الْعَفَاءُ) ..

[رَوَاهُ ابنُ عَدِىّ والْبَيْهَقِىُّ عن ابْنِ عُمَرَ (رضى الله عنهما)]

شرح الحديث :

الحديث يُعَرِّف ابن آدم طبعه ، وما جُبِل عليه : **[عِنْدَكَ مَا يَكْفِيكَ]** لأن ((الله)) سبحانه وتعالى أعطى كل إنسان ما يكفيه ، فقد قدَّر سبحانه الأقوات من الأزل قبل خلق السموات والأرض إذ يقول : (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١) [(١)] ..

والإنســان دومًا يطلب المزيد ، وهو لا يعرف مــا يفعل به المزيد ، فحين يخــتار ((الله)) الغِنَى أو الفَقْر لإنســان ما ، فإنه يخــتار له ما يصلحه ، ولكن الإنســان لا يعلم ..

(١) سورة فصلت الآيات من ٩ إلى ١١ .

الحديث يوضح أن هناك ثلاثة أمور هامة ، أو هى نِعَم أنعم ((الله)) بـــها عليه ، لو عَرَفها وأدركها لهانت عليه الدنيا فلم يعبأ بـــها ، وهذه الأمور الثلاثة هى :

١- إذا أصبح الإنسان مُعافى من كل مرض وألـــم .

٢- الأمن [**آمِنًا فِى سَرْبِكَ**] سِرْبِكَ : بالكسر أى نفسك ، وسَرْبِكَ : بالفتح هى مذهبك ومسلكك ، والأمن أمر لا يشعر به كل الناس ، أو هم لا يستشعرون قيمته ، لأنـــهم لم يعيشوا الخوف ، ولكن لو تخيَّلنا أننا قلة فى أمة غير مسلمة - كما كان المسلمون الأوائل - لأدركنا حقيقة الخوف وقيمة الأمن : (وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۟ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾)[1] فأى خوف هذا الذى يبلغ بالمرء هذا المبلغ ؟!.. ومن هذا المنطلق فللأمن والأمان قيمة كبرى لا يدركها المرء إلا إذا استشعر الخوف : (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ)[2] ..

٣- أن يملك الإنسان قوت يومه ، فلا يبيت ليلته جوعان ، فالغد أمره بيد ((الله)) ، وليس للإنسان من أمره شىء ، لأنه قد يأتى الغد وهذا الإنسان ليس من أهل الدنيا ، فالموت قريب ليس ببعيد ، فإذا ملك المرء

---

[1] سورة الأحزاب الآيتان ١٠ ، ١١ .   [2] سورة النور آية ٥٥ .

قوت يومه فحسبه : (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا)[1] ..

فإذا استشعر المرء هذه النِّعَم الثلاث ، وجب عليه أن يقول – حامدًا لله – : **[عَلَى الدُّنْيَا الْعَفَاءُ]** الْعَفَاءُ : هو الفناء والمحو ..

وهناك حديث قدسي آخر مشابه لهذا الحديث .. يقول تعالى :

(يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ ، وَإِلاَّ تَفْعَلْ مَلأْتُ صَدْرَكَ شُغْلاً وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ) [2] ..

وهناك من الآيات فى « القرآن الكريم » ما يؤكد معنى هذه الأحاديث كقوله تعالى يخاطب حبيبه المصطفى (ﷺ) : (لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقًاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَ)[3] ومعناها أن ((الله)) يقول لنبيـــه : لا أسألك السعى لإيجاد الرزق فأنا كفيل بذلك .. وكقوله تعالـــى : (وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ) [4] الأمر واحد « الأمور » ، وليس مفرد « الأوامر » ، والرزق من « الأمور » .. وقوله تعالى : (فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ) يوضح أن ما على العبد إلا أن يعبد ((الله)) مخلصًا ، ثم يتوكل عليه فى أمور الدنيا ..

اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذُنُوبَنَا .. وحَسِّنْ أَخْلاقَنَا .. وطَيِّبْ كَسْبَنَا ..
وقَنِّعْنَا بما رَزَقْتَنَا .. ولا تُذْهِبْ قُلُوبَنَا إِلَى شَيءٍ صَرَفْتَهُ عَنا ..

---

[1] سورة هود آية ٦ . [2] رواه أحمد ، باقى مسند المكثرين . [3] سورة طه آية ١٣٢ .
[4] سورة هود آية ١٢٣ .

نبأ عظيم

٢ **(إِنِّى والْجِنُّ والإِنْسُ فِى نَبَأٍ عَظِيمٍ : أَخْلُقُ وَيُعْبَــدُ غَيْــرِى ، وَأَرْزُقُ وَيُشْكَرُ غَيْرِى) ..**

[رَوَاهُ الْبَيْهَقِىُّ والْحَاكِمُ عَنْ مُعَاذ (رضي الله عنه) ، والدَّيْلَمِىُّ وابْنُ عَسَاكِر عَنْ أَبِــى الدَّرْدَاءِ (رضي الله عنه)]

شرح الحديث :

كلمة (نبأ) من حيث اللغة : هى الخبر ذو الفائدة العظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ، فلا يُعبَّرُ عن الخبر المحتمل الصدق والكذب بكلمة (نبأ) ولكن يُعبَّر بـــها عن كل خبر هام عظيم كقوله تعالى : (عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢)[1] .. فالله – سبحانه وتعالى – حين يقول : **[فِى نَبَأٍ عَظِيمٍ]** فلابد أن الأمر خطير !!..

يتلخص فى نقطتين هامتين وهما :

- أن ((الله)) تبارك وتعالى هو الخالق ، ومع ذلك يُعْبَدُ غيرُه .
- أن ((الله)) تبارك وتعالى هو الرازق ، ومع ذلك يُشْكَرُ غيرُه .

والعبادة تعنى : (التذلل والخضوع والطاعة والتوحيد والدعاء) .. وفى الحديث : **[يُعْبَدُ غَيْرِى]** يقصد بـــها كل أنواع العبادة : فمنها السجود للأصنام ، وطاعة غير ((الله)) .. فمثلاً قال ((الله)) تبارك وتعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ

(1) سورة النبأ الآيتان ١ ، ٢ .

وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ)[1] هذا أمر من ((الله)) لم يطعه بعض نساء العصر الحالى ، بل أطعن ملوك الأزياء ، وخرجن كاسيات عاريات ، ضالات مضلات ، مائلات مميلات ..

وقد أحَلَّ ((الله)) لعباده التجارة ، وحَرَّم الرِّبـــا ، ولكنّا نجد النظام الاقتصادى يقوم على الرِّبـــا ، على الرغم من أنه قد تبين أن المشروعات القائمة على الرِّبـــا لا تفلح بل تفشل فشلا ذريعًا يحار فى تفسيره علماء الاقتصاد .. هذا من حيث (العبادة) بمعنى : (الطاعة) ..

أما عن (العبادة) بمعنى : (التوحيد) فقد أشرك بعض الناس بـــ ((الله)) ، وادَّعوا له الولد – سبحانه وتعالى عما يصفون – وقالت اليهود : (عُزَيْر ابن الله) .. وقالت النصارى : (المسيح ابن الله) .. وقال مشركو العرب : (الملائكة بنات الله) ، فتعالى ((الله)) عما يقولون ويصفون علوًّا كبيرًا ..

و(العبادة) بمعنى : (الدعاء) غفل عنها كثيرون .. فلننظر هل يجأر كل الخلائق بالدعاء إلى ((الله)) ؟!.. أبدًا !! فنجد كثيرا من الناس لا يدعون الله : (كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾)[2] حتى الدعاء يغفلون عنه ، ظنا منهم أن السلطة والجاه تُصَرِّف أمورهم فلا يدعون ربـــهم ..

أما قوله : **[أَرْزُقُ وَيُشْكَرُ غَيْرِى]** : لو أعمل الناس فيه فكرهم – كما فعل العارفون – لوجدوا أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين : (لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ)[3]

---

[1] سورة الأحزاب آية ٥٩ . [2] سورة العلق الآيتان ٦ ، ٧ . [3] سورة طه آية ١٣٢ .

ولننظر إلى أنواع الرزق المختلفة نجد أن ((الله)) هو خالقها : فبدايةً خَلَقَ ((الله)) الماء ، ثم جعله أساس كل شىء حى : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [1] فالماء والأرض مما خلقه الله ، وكذا البهائم وما تنتجه من لحوم وألبان .. نجد أن الله هو خالق كل ذلك ومُسخّره لنا .. والأسماك وكل منتجات البحار هو خالقها سبحانه وتعالى .. والذهب الذى هو أساس التعامل المادى فى هذه الدنيا من خلق ((الله)) .. والبترول نكتشفه ولا نخلقه ، إنما خالقه وموجده هو ((الله)) ، وبالقياس على ذلك : كل ما فى الكون من موجودات خلقها ((الله)) ، فالله هو الرازق الأوحد .. وقد رزقنا العقل ، وهو نعمة يغفل عنها الكثيرون ، لذلك نجد القول المأثور : (عَقْلُ الْمَرْءِ مَحْسُوبٌ عَلَيْهِ مِنْ رِزْقِهِ) فلننظر هل شَكَرْنَا ((لله)) كل هذه النعم ؟! فالشكر ليس فقط بقول : (الحمد لله) وإنما الشكر يُكَلَّلُ بالعمل ، فقد قال ((الله)) تعالى : ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ ﴾ [2] ولو نظرنا لكلمة (الشُّكْر) من حيث اللغة : نجد أن قولهم : (شَكَرَت النَّاقةُ) أى امتلأ ضرعها باللبن امتلاء عظيما حتى أنه يقطر لبنا من غير حلب ، وكذا قولهم : (شَكَرَت البئرُ) أى فاض منها الماء على الأرض .. فمادة الكلمة تعنى الامتلاء ثم الإفاضة ، فإذا أعطاك ربنا نعمة أصبت منها حاجتك ، وما زاد أخرجته لتنفع به غيرك .. فهناك من الناس مَنْ إذا أعطاه الله ، وزاده نعمة ازداد بُخْلا بدعوى أنه قد عانى فى جمع هذا المال ، فهل سأل نفسه وتفكر : كم من أناس تعبوا وعانَوا و لم يصلوا إلى ما وصل إليه ؟! لقد

---

[1] سورة الواقعة الآيتان ٦٣ ، ٦٤ .   [2] سورة سبأ آية ١٣ .

غفل عن ذلك ، لأن الناس تُرزق وتَغفل عن الرازق ، وتحجبهم النعمة عن المنعم ، فلو نظرنا إلى كل نعمة وأَمْعَنَّا النظر لوجدنا خلفها يد الفضل من ((الله)) تبارك وتعالى ، (وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ) [١] ..

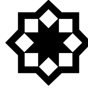
وقد يتساءل سائل : لِمَ يَدَعُ ((الله)) هؤلاء الذين يعبدون غيره ، والذين يشكرون سواه يعيشون فى الدنيا فى دائرة حِلْمِه ويُرزقون من فضله ؟!.. والإجابة : أنّ هناك من الْخَلق مَنْ يُرحم بــهم الجميع ، ويُرزق بــهم الجميع ، ودليل ذلك الحديث الشريف : (**مَهْلاً عَنِ اللَّه مَهْلاً .. فَإِنَّهُ لَوْلاَ شَبَابٌ خُشَّعٌ ، وَبَهَائِمُ رُتَّعٌ ، وَشُيُوخٌ رُكَّعٌ ، وَأَطْفَالٌ رُضَّعٌ ، لَصُبَّ عَلَيْكُمُ الْعَذَابُ صَبًّا**) [٢] .. ولذا يقول رسول الله (ﷺ) : (**إِنَّ اللَّهَ لَيُصْلِحُ بِصَلاحِ الْعَبْدِ وَلَدَهُ ، وَوَلَدَ وَلَدِه ، وَأَهْلَ دُوَيْرَتِهِ ، وَأَهْلَ الدُّوَيْرَاتِ حَوْلَهُ ، فَمَا يَزَالُونَ فِي حِفْظٍ مِنَ اللَّه مَا دَامَ بَيْنَهُمْ**)[٣].. فبعض الناس وجودهم فى الأرض رحمة ، فقد تُرتكب الفواحش جهارًا وعيانًا فى مكان ويُظَنُّ أن أهله لا يستحقون قطرة المطر ، ولوجود رجل يدعو ربه لَيْلاً يرحم ((الله)) الحى كله .. وهناك من يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات .. وهناك من يقول : نَامَتِ الْعُيُونُ ، وَغَارَتِ النُّجُومُ ، وَأَنْتَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، يا رب رحمتك .. لأجل هذه الكلمات يرحم ((الله)) النائمين على المعاصى ، فكم لله من عباد يخفى حالهم على الناس ، ولو أقسموا على ((الله)) لأَبَّرهم !! فالرسول (ﷺ) يقول : (**كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ ، لا يُؤْبَهُ لَهُ ،**

---

[١] سورة الحديد آية ٢١ . [٢] رواه البيهقى كتاب صلاة الاستسقاء . [٣] رواه ابن أبي شيبة في مصنفه .

لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ ، مِنْهُمُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ) [1] ..

نسأل ((الله)) تبارك وتعالى أن نكون مِنْهُم ..
ونسأله سبحانه وتعالى أَنْ يَنْفَعَ بِنَا ..
وأَنْ يَجْعَلَنَا مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ ..
وأَنْ يُقَدِّرَ لَنَا الْخَيْرَ ، وأَنْ يُجْرِىَ الْخَيْرَ على أَيْدِينَا ..
ويَخْتِمَ لَنَا بِخَاتِمَةِ السَّعَادَة ..
وأَنْ يَغْفِرَ لِلمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ ، والْمُسْلِمِينَ والْمُسْلِمَاتِ ،
الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ والأَمْوَاتِ ..



[1] رواه الترمذى كتاب المناقب .. و« أشعث الشعر » : ملبد مغبر الشعر غير ممشط .. و« أغبر » المراد على رأسه التراب .. و« ذى طمرين » : صاحب ثوبين باليين .. و« لأبره » : لأجابه وجعله بارًّا فى قسمه ..

٣ (**إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلاَةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ بِهَا لِعَظَمَتِى .. وَلَمْ يَسْتَطِلْ عَلَى خَلْقِى .. وَلَمْ يَبِتْ مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَتِى .. وَقَطَعَ نَهَارَهُ فِى ذِكْرِى .. وَرَحِمَ الْمِسْكِينَ ، وابْنَ السَّبِيلِ ، والأَرْمَلَةَ ، وَرَحِمَ الْمُصَابَ .. ذَلِكَ نُورُهُ كَنُورِ الشَّمْسِ .. أَكْلَؤُهُ بِعِزَّتِى ، وَأَسْتَحْفِظُهُ بِمَلاَئِكَتِى ، أَجْعَلُ لَهُ فِى الظُّلْمَةِ نُورًا ، وَفِى الْجَهَالَةِ حِلْمًا .. وَمَثَلُهُ فِى خَلْقِى كَمَثَلِ الْفِرْدَوْسِ فِى الْجَنَّةِ**) ..

[رَوَاهُ الْبَزَّارُ عنِ ابنِ عَبَّاسٍ (رضى الله عنهما)]

شرح الحديث :

يظهر من الحديث أمور كثيرة ، أولها : أهمية الصلاة ، وهى الركن الثانى فى الإسلام ، ويمكن القول بأنها الركن العملى الأول ، لأن ما قبلها (لا إِلَهَ إِلاَّ الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله) عقيدة ، وما بعدها الركن العملى ، لأن التوحيد إقرار باللسان ، واعتقاد بالْجَنان ، فالركن العملى الأول هو الصلاة ..

[أَتَقَبَّلُ الصَّلاَةَ] : فى الحديث شرط هام هو : أن المصلى يجب ألا يتطاول بصلاته على أحد من خلق الله ، بمعنى : أنه يصلى متواضعًا لله ، ويضع أشرف ما فى الإنسان – وهو وجهه – على أحقر ما فى الوجود – وهو التراب – تذللا لله .. فالهدف من الصلاة هو إظهار الذلة والخضوع والتذلل لله .. والشرف كل الشرف

فى أن تخضع ، وتَذِلَّ لله سبحانه وتعالى .. ومَنْ تواضع لله رفعه ..

وهناك أناس يصلون فينظرون إلى غيرهم على أنـــهم أدنى منهم درجة .. ومع أن الصلاة عماد الدين ، من أقامها فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين ، ولكن لا أحد يعلم ما تخفيه الأيام وما طويت عليه الصُّحُف : (وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ) [1] .. وإذا كنت من قبل لا تصلى ، أو لا تحافظ على الصلاة فى أوقاتـــها ، فهداك الله .. إذًا فهو قادر على أن يهدى غيرك .. وإذا كنت تصلى اليوم وتواظب على الصلاة ، فأنت لا تدرى ما يصنع الله بك غدًا .. فعلى المصلى أن يدعو ربه : أن يديــم عليه نعمة الصلاة ، ولا يتطاول بصلاته على أحد ..

وأحيانًا يتباهى البعض بما عندهم من علم ، فيتطاولون على من لا علم له ، والله يقول لسيد الخلق (ﷺ) : (وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ) [2] فالعلم من عند الله ، والصلاة من فضل الله وتوفيقه ، فلا يتقبل من العبد صلاته إلا إذا كان متواضعًا بـــها لعظمة الله تبارك وتعالى ، غير مُتَكبِّر بـــها على أحد من خلقه ..

[وَلَمْ يَبِتْ مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَتِى] : الإصرار معناه الاستمرار على المعصية .. فلو أذنب المرء فندم واستغفر ، غفر له ولو تكرر ذلك منه .. فالنبى (ﷺ) فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ – عَزَّ وَجَلَّ – يقول : (**أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، فَقَالَ**

---

[1] سورة النساء آية ٩٤ .

[2] سورة النساء آية ١١٣ .

تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا ، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ .. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ : أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي .. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا ، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ .. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ : أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي .. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ .. اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ) [١] .. وهكذا يذنب العبد ويستغفر فيغفر له ولكن بشرط : أن لا يُصِرَّ على المعصية ، والإصرار معناه : أن يرتكب المرء المعصية فلا يندم عليها ، ويبيت ليله وهو ناس لذنبه ، أو يبيت وقد نوى أن يعيد الذنب نفسه فى غده .. ومثال لذلك :

المرأة التى لا تلتزم بالزِّى الإسلامى ، فهذا ذنب ، فهل عاتبت نفسها وعزمت ألا تعود له ، أم باتت وقد أعدت ما تلبسه غدًا من النوع نفسه الذى ارتدته فى يومها ؟!.. والإصرار على الصغيرة كبيرة .. أما عدم الإصرار على المعصية فمثاله :

الشاب الذى تلفت نظره الضالات المضلات فى الشوارع – وهُنَّ فتنة ، لقول رسول الله (ﷺ) : (**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**)[٢] – فينظر إليهن ثم يتذكر قول الله تعالى فى الحديث القدسى : (**النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ ، مَنْ تَرَكَهَا مِنْ مَخَافَتِي أَبْدَلْتُهُ إِيمَانًا يَجِدُ حَلاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ**) [٣] فيستغفر ربه ، ويعزم على ألا ينظر مرة أخرى ، ثم فعل مثل ما فعل ، ولو حدث ذلك مائة مرة : فى كل مرة ينظر ، فيندم ، ويستغفر ، وينوى مخلصًا ألا يعود لذلك ،

---

[١] رواه مسلم ، كتاب التوبة . [٢] رواه البخارى ، كتاب النكاح . [٣] أخرجه الطبرانى .

يُغْفَر له – إن شاء الله — مادام قد عزم على عدم العودة : ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [1] ..

وإذا رأينا شابًّا آخر يخرج بقصد الترصد للفتيات ، ويتعمد أماكن بعينها ، فهو مُصِرٌّ على المعصية ..

كلا الشابين يرتكب الذنب نفسه والمعصية ذاتها ، ولكن الأول يندم ويستغفر ، أما الآخر فلا يندم ولا يستغفر .. لذا يقول الرسول (ﷺ) : (**مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً ، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ**) [2] لأن المرء إذا فرغ من صلاة الظهر – مثلا – وارتكب المعاصى والصغائر ، وجاء للوضوء لصلاة العصر ، تذكر ذنبه ، فتتساقط الصغائر والذنوب مع قطرات الماء ، فإذا وقف للصلاة وقف نظيفًا طاهرًا .. فإذا نسى شيئًا لم يتذكره فى وضوئه ، تذكره فى صلاته ، فالصلاة مرآة للعبد ، يرى ويتذكر فيها أفعاله ، فإن كانت خاطئة شعر بالخجل والندم ، فإذا ركع أو قام أو سجد ، تساقطت عنه ذنوبه ، فيخرج من صلاته كمن لا ذنب له ..

أما من يصلى ولا يذكر ذنبه فيستغفر منه ، فصلاته ليست كفارة له ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ ﴾ [3] ..

[وَقَطَعَ نَهَارَهُ فِى ذِكْرِى] : هذا لا يعنى أن يقضى نهاره يسبح ويذكر الله فقط .. بل يكون فى معايشه وتقلبه طوال النهار ذاكرًا لله ، شاعرًا بِنِعَمِهِ عليه :

---

[1] سورة النساء آية ١١٠ . [2] رواه مسلم ، كتاب الطهارة . [3] سورة العنكبوت آية ٤٥ .

فالطعام مثلاً والقدرة على مضغه وهضمه نعمة من نعم الله .. فإذا أكل وشبع فحَمِدَ الله فذلك ذكر .. وإذا رأى جميلا فى الكون ذكر الله فقال : (سبحان الله) .. وإذا رأى عليلاً حمد ربه على أن عافاه مما ابتلاه به .. وكذلك إذا رأى عاصيًا حمد الله على نعمة الطاعة فكان بذلك ذاكرًا لله بقلبه وفكره ..

[وَرَحِمَ الْمِسْكِينَ ، وابْنَ السَّبِيلِ ، والأَرْمَلَةَ ، وَرَحِمَ الْمُصَابَ] : بعد الصلاة وذكر الله تأتى الرحمة ، لأن الصلاة تصنع بالمرء شيئين : أولهما : أنـــها تظهر على وجهه .. والكثير من العارفين بالله إذا نظر أحدهم إلى وجه أحد الناس عَرَف إن كان يصلى أم لا .. وثانيهما : أنـــها تورث القلب رقة ورحمة ، وهذا الوصف ظاهر فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : (وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا) [1] اقترن لفظ الرحمة بلفظ الركوع والسجود .. وتجاور ألفاظ الرحمة والركوع والسجود – فى الآية الكريمة – يشعرنا بما تورثه الصلاة .. فالصلاة لها أثران : ظاهرى وباطنى ، فالظاهرى هو النور فى الوجه ، والباطنى هو الرحمة والرقة .. ويقول (ﷺ) : (**إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**)[2].. (**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**)[3] .. وكان (ﷺ) بالمؤمنين رؤوفًا رحيمًا كما وصفه القرآن ..

وتجد الرحمة فى الأنبياء أعظم وأشمل منها فى الأولياء ، ثم الأمثل فالأمثل .. وكلما اقترب العبد من الله تبارك وتعالى تخلق بالأخلاق الفاضلة ، واشتدت الرحمة

---

[1] سورة الفتح آية ٢٩ . [2] رواه البخارى ، كتاب التوحيد . [3] رواه الترمذى ، كتاب البر والصلة .

فى قلبه وعمت ، فيرحم أهله ، ثم جيرانه ، ثم عشيرته ، ثم الناس جميعًا .. لذا تجد هؤلاء الرحماء تشع رحمتهم فى الدنيا ، كما أن لهم رحمة فى الآخرة أيضًا بالشفاعة لأهلهم ، وأحبابهم ، وجيرانهم ، فهم الشفعاء يوم القيامة ..

[وَرَحِمَ الْمِسْكِينَ] : و« المسكينُ » : من المسكنة ، وهى من السكون ، أى أسكن الفقر حركته .. **[وابْنَ السَّبِيلِ]** : وهو المسافر ، وسُمى : (ابْن السَّبِيل) لأنه ملازم للطريق ، كالطفل الملازم لأبيه ، وابن السبيل مطلوب له الرحمة لأنه قد تفرغ نقوده وهو فى سفره فيحتاج إلى العون .. **[والأَرْمَلَةَ]** : وهى مَنْ ماتَ عنها زوجها ، وقد تكون فقيرة أو غنية ، فالحديث لم يحدد صنفًا من الأرامل ، ولكن ذَكَرَ الأرملة فقط ، وهى قد تحتاج إلى المساعدة أو المعاونة فى الحصول على معاش زوجها مثلاً .. فليتق المتزوج ربه لأنه لا يضمن أن يأتى الصباح فتصبح زوجته أرملة ، فعليه أن يراعى الله ويراقبه : (وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٩﴾) [(١)] ..

[وَرَحِمَ الْمُصَابَ] « الْمُصَاب » : هو مَنْ أُصيب فى بدنه ، أو ماله ، أو ولده ، أو أحد من أهله فيحتاج إلى المواساة أو المساندة .. ولا أحد يدرى ما فى الغد ، فلو دامت لغيرك ما آلت إليك ..

[ذَلكَ نُورُهُ كَنُورِ الشَّمْسِ] : أى إنه فى الدنيا يصل نوره إلى السموات السبع ، حتى ترى الملائكة نوره على الأرض كما ترى أنت نور الشمس ، وليس

---

(١) سورة النساء آية ٩ .

هذا فى حياته فقط وإنما فى قبره وحين يُبعث يوم القيامة أيضًا : (يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ) [1] ..

[أَكْلَؤُهُ بِعِزَّتِى] : « الكلاءة » : العناية الشديدة ، والرعاية الفائقة ..

[وَأَسْتَحْفِظُهُ بِمَلَائِكَتِى] : يعين الله له حرسًا من الملائكة يحفظونه ، والله سبحانه وتعالى يقول : (لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ) [2] .. وكان رسول الله (ﷺ) يُحرس بأصحابه فى أول البعثة حتى نزلت الآية : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ) [3] فصرف الحرس .. فإذا مشى الصحابة خلفه يحرسونه قال لهم : (**خَلُّوا ظَهْرِي لِلْمَلَائِكَةِ**) [4] .. والملائكة : أكرم حرس ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يُؤمرون ..

[أَجْعَلُ لَهُ فِى الظُّلْمَةِ نُورًا] النور هنا شيئان : ظاهر وباطن ، أما الظاهر : فهو الرؤية فى الظلام ، كما كان يحدث مع بعض الصحابة ، منهم : أُسَيْد بن حُضَيْر ، وعَبَّاد بن بِشْر (رضى الله عنهما) إذ كان النور ينبعث من عصا كُلٍّ منهما إذا مشى فى الظلام .. وأما الباطن : فمهما كثرت الأباطيل ، وغمضت الأمور ، واستغلقت على الأفهام فهم يرونـــها على حقيقتها .. والله تعالى يقول : (أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ

---

[1] سورة الحديد آية ١٢ . [2] سورة الرعد آية ١١ . [3] سورة المائدة آية ٦٧ .

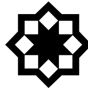
[4] رواه أحمد ، باقى مسند المكثرين .

مِّنْهَا)[1] وسواء أكانت الظلمة حقيقية أم كانت استغلاقًا للأمور فرؤيتهم لها واضحة ، والنور نور البصيرة ..

[وَفِى الْجَهَالَةِ حِلْمًا] : « الجهالة » هى خروج المرء عن وعيه ، أو اتزانه وتعقله : من غضب ، أو تهور .. وهؤلاء مهما بلغت بهم الجهالة ، أو جَهل عليهم غيرهم يمنحهم الله من حلمه وعلمه ..

[وَمَثَلُهُ فِى خَلْقِى كَمَثَلِ الْفِرْدَوْسِ فِى الْجَنَّةِ] : الْخَلْقُ هنا : هم الصالحون من الناس ، و« الفردوس » : أعلى الْجِنَان ، ومنها تتفجر الأنهار فى الجنات الأخرى ، وسقفها عرش الرحمٰن .. لا يتسنَّى ثمرها ، ولا يتغير حالها ..

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مُتَواضعِينَ بِصَلاَتِنَا لِعَظَمَتِكَ ..
واجْعلنَا مِنَ الرُّحَمَاءِ ..
واجْعَلْ لنا فِى الظُّلْمَةِ نُورًا .. وفِى الْجَهَالَةِ حِلْمًا ..
واكْلأْنَا بِعِزَّتِكَ الَّتِى لا تُضَامُ ..
واحْفَظْنَا بِرُكْنِكَ الذى لا يُرَامُ ..



[1] سورة الأنعام آية ١٢٢ .

٤ (يَا عِبَادِي ، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ، فَلا تَظَالَمُوا .. يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ .. يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ .. يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ .. يَا عِبَادِي ، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا غَيْرَ الشِّرْكِ ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ .. يَا عِبَادِي ، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي .. يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ ، وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ ، وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا .. يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ ، وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ ، وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا .. يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ ، وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ ، وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِي ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ .. يَا عِبَادِي ، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا : فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ

فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ) ..

[رَوَاهُ مُسْلِم ، وأبو عوانة ، وابنُ حِبَّان ، والْحَاكِمُ عَنْ أَبِى ذَرٍّ (رضى الله عنه)]

شرح الحديث :

حين حَرَّم الله تبارك وتعالى الظلم على نفسه ، جعل ذلك تفضُّلا منه وإحسانا ، لأن الله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء : (لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ)[1] .. والظلم هنا هو أن يُحسن المرء فلا يجد ثواب إحسانه ، ويسىء المرء فيعاقب بأكثر مما يستحق على إساءته ، أو تُضاف على المسىء سيئات لم يرتكبها ، أو تضاف إلى المحسن سيئات لم يعملها .. ذلك هو الظلم المقصود .. وإن كان الله تبارك وتعالى قادرًا على كل شىء .. وهو الفعال لما يُريد .. ومن حَكَم فيما مَلَك فما ظلم .. إلا أنه – تفضلا وإحسانًا – أراد أن يثيب المحسن ، ويجازى المسىء ، فلا يجد الإنسان فى الآخرة إلا عمله فيُجزى به .. فإذا كان الله تبارك وتعالى – الذى لا يُسأل عما يفعل – قد حرم الظلم على نفسه ، فمن باب أولى أن يكون محرمًا على عباده لذلك نـــهاهم عن التظالـــم .. وهو أول نـــهى فى الحديث ، والظلم أنواع ودرجات .. ومهما ارتكَبْتَ من شرور ومعاصٍ وسيئات فى حق نفسك ، فتوبتك واستغفارك يمحوان سيئاتك .. أما المظالـــم : كأن تكون قد ضربت هذا ، أو شتمت هذا ، أو أكلت مال هذا ، فلا يُصْلِحُ ذلك الاستغفار وحده ، ولكن لابد من رد المظالـــم .. ولذلك نجد أن القرآن الكريـــم يحدثنا عن التوبة بآيات مختلفة ، وألفاظ مختلفة مثل :

---

[1] سورة الأنبياء آية ٢٣ .

(إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا) [1] فالمعصية متعلقة بالعقيدة ، فمطلوب منه : التوبة ، ثم الإيمان ، وتصحيح العقيدة .. وهناك : (إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَـٰلِحًا) [2] فالأمر يتعلق بالسيئات .. والإساءات التى فعلها العبد تخص ذاته ونفسه فيبادر بالحسنات ليمحوها .. وهناك الإخفاء للحقائق : (إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ) [3] فالمطلوب منهم التبيان – لما سبق وأخفوه — كشرط من شروط التوبة .. وهناك : (وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلاً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ) [4] فالمطلوب الإصلاح بأن يرد المسروق .. أما أن يستغفر فقط فذاك لا ينفع ..

ومن هنا نجد أن من أخطر الذنوب ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ، وحديث : (**كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه**) [5] يوضح أن الظلم درجات : فظلم المسئول أخطر من ظلم غير المسئول ، وظلم القاضى أخطر من ظلم الإنسان العادى ، وهكذا بحسب وضع الإنسان فى الدنيا ، تتفاوت درجات الظلم ..

ثم يحدثنا الله تبارك وتعالى عن أمر غاية فى الأهمية :

[يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ] : إذًا فالأصل فى الإنسان أن يكون ضالاًّ .. لم يستثن الله أحدًا من بنى آدم إلى أن تقوم الساعة فلا يمكن للإنسان أن يهتدى بنفسه إلى الله ، ولكن لابد من هدى الله .. و« الضلال » : هو عدم معرفة

---

[1] سورة مريم آية ٦٠ . [2] سورة الفرقان آية ٧٠ . [3] سورة البقرة آية ١٦٠ .

[4] سورة المائدة الآيتان ٣٨ ، ٣٩ . [5] رواه البخارى ، كتاب النكاح .

الحق .. وكلمة « ضَلَّ » أى غاب ، مثل قولهم : « ضل اللبنُ فى الماء » أى اختلط به فلم يُعرف اللبن من الماء .. و« ضل الرجل طريقه » أى تاه .. إذًا فالأصل فى الإنسان أن يكون ضالاً ، لأنه : لا يرى الله ، ولا الملائكة ، ولا الآخرة .. فهو لا يرى إلا المحسوسات فقط ، والله تبارك وتعالى وراء المحسوسات .. وأنواع الضلال متعددة : فهناك الضالُّ الذى لم تبلغه دعوة الرسل ، وهناك من يبحث فيصل إلى بعض الحق بنفسه ، وهناك من تأتيه الرسل فيستمع فيهتدى فذاك قد أنعم الله عليه وهداه ، ومنهم من يستمع إلى الرسل ويعرف الحق ولا يتبعهم ، فينتقل من دائرة الضلال إلى دائرة الغضب فيصبح مغضوبًا عليه ، ولذا نجد فى الفاتحة : (غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ)[1] .. معنى ذلك أن هناك فريقين : الضال الذى لم يعرف الطريق إلى الله ، أو لم تبلغه دعوة الرسل .. ومَنْ بلغته دعوة الرسل فلم يؤمن ولم يصدق .. وبما أن الأصل فى الإنسان الضلال – ما لم يهده الله – فما الذى يجب عليه ؟!.. **[فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ]** : إذًا فالأمر فى غاية البساطة ، ما علينا إلا الطلب بصدق وعلى الله الإجابة .. ولكن – للأسف الشديد – الضُّلَّال لا يسألون الله الهدى – ولو سألوه لهداهم – مع أن طلب الهداية هو أهم ما فى الوجود إذ بـها تصلح أمور الإنسان فى الدنيا والآخرة ..

وينتقل الحديث بعد ذلك إلى ما قد يشغل عن طلب الهداية : **[يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ]** : الكلام هنا لكل الناس

---

[1] سورة الفاتحة آية ٧ .

سواء فى ذلك الغَنِىّ والفقير : فعلى الغَنِىّ أن يعلم أن ما عنده من رزق هو من فضل الله .. وعلى الفقير أن يعلم أن هذا الغَنِىّ كان جائعًا ، و لم يطعمه إلا الله ، فلا يسأله ، وإنما يسأل الله سبحانه .. والطعام فى الحديث قد لا يدل على الأكل فقط ، وإنما يعنى كل ما فيه منفعة للإنسان .. والنافع هو الله .. والمرء محتاج إلى كل ما ينفع ، فعليه أن يلجأ إلى من يملك النفع ..

[يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ] : فى ذلك معنيان : معنى ظاهر وهو ستر العورة والتجمُّل وما إلى ذلك .. ومعنى باطن وهو دفع المضَارّ ، لأن المرء بلباس الحرب يدفع عن نفسه ضرب السهام والرماح ، وباللباس الثقيل يستدفئ ويدفع عن نفسه البرد ، وباللباس الخفيف يدفع عن نفسه الحرَّ ..

ويتعرض الحديث بعد ذلك لطبيعة الإنسان : **[يَا عِبَادِي ، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا غَيْرَ الشِّرْكِ ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ]** : وتقديـــم الليل على النهار لفتة تستوجب التأمل ، فالأصل الظلمة ، أما النهار فهو عارض .. لأن الشمس تُشرق فتُضىء فتُذهب الظلام ، ولذا نجد ذكر الليل يأتى دائمًا – فى القرآن – قبل ذكر النهار : (يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ)[1] .. (وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا)[2] .. الليل فيه السكون .. وفيه الستر .. ويُستحب فيه التوجه إلى الله ، حيث يختفى السلطان والجاه .. وفيه قيام العارفين .. وفيه المستغفرون بالأسحار .. مما يجعل الخطايا بالليل

[1] سورة النور آية ٤٤ .
[2] سورة الفرقان آية ٦٢ .

من أسوأ الأمور وأخطرها على الإنسان .. وعلى الرغم من أننا نخطئ بالليل والنهار فإن الله تبارك وتعالى يبين لنا سعة رحمته بقوله : **[وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا]** ويطلب منا أن نسأله المغفرة بقوله : **[فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ]** مما يعطى الأمل الكبير لكل الخاطئين .. فلا يأس من رحمة الله مهما عظمت الذنوب ، وكثرت الخطايا .. ولذا فمن أعظم الكبائر أن يستعظم المرء ذنبه على الله ، ويقول فى نفسه أو لشخص ما : (لقد ارتكبت من الذنوب ما لا يمكن أن يغفره الله) هذه المقولة وحدها تعادل الشِّرْك ، لأن المرء إذا استعظم ذنبه على الله ، فكأنما اعتقد أن المعاصى تضر الله أو تنقص من ملكه شيئًا ، وهو سبحانه لا تضره المعاصى ولا تنفعه الطاعات ، لذا فالله يقول : **[إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي]** : فمهما فعل المرء من معاص فلن يضر الله شيئًا ، فالله لا تضره المعاصى ..

[وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي] : وبالتالى لا تنفعه الطاعات ، فلو اجتمع الناس جميعًا على طاعة الله ما نفعه ذلك شيئًا ، ولو اجتمعوا على معصية الله ما ضره ذلك شيئًا .. إذًا فالله لا ينهانا عن شيء يضره ، أو يأمرنا بشيء يحتاجه ، إنما يأمر وينهى لما فيه صلاحنا وخيرنا .. ثم يضرب الله فى الحديث مثلا لتوكيد ما سبق : [**يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ ، وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ ، وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا**] ذكر جميع الْمُكَلَّفين بالعبادة ولَمَّح إلى أنَّ التقوى محلها القلب ، فلو أن العباد مِنْ إنْسٍ وجنّ ، منذ خلقهم وحتى تقوم الساعة ، كانوا على أتقى قلب رجل واحد ، ألا وهو قلب محمد (ﷺ) سيِّد ولد آدم ما زاد ذلك فى ملك الله شيئًا ، لأن الله كان ولم يكن شيء معه .. فهو

الغنى والكل فقراء إليه .. وهو سبحانه المستغنى بذاته عما سواه ..

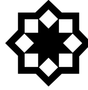
[يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ ، وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ ، وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا] : نستشعر هنا عزة ((الله)) جل جلاله إذ لا تنفعه الطاعات ، ولا تضره المعاصى .. سبحانه هــو الكبير المتعـــال ..

[يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ ، وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ ، وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِي ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ] : معنى ذلك اجتماع الكل على اختلاف ألسنتهم ولهجاتـــهم وطلباتـــهم فى مكان واحد ، وفى آن واحد .. فسبحان من لا تختلط عليه الأصوات ، ولا تختلف عليه اللغات ، ولا تنضب خزائنه ، ولا ينقصها العطاء .. فلو أعطى كل سائل ما سأل ما نقص ذلك مما عنده شيئًا إلا كما ينقص البحر إذا غُمست فيه إبرة ثم أُخرجت منه .. وذلك مَثَلٌ ضُرِبَ للناس الذين لا يدركون إلا المحسوسات .. فعلى الإنسان أن يسأل الله فى كل شيء ، ولا يبخل على نفسه بالدعاء ..

[يَا عِبَادِي ، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا] : إذًا فهى أعمال العباد .. [**فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ**] : نعم .. لأن الله هو الذى هدى ، وهو الذى وفَّقَ للطاعة ، وأعان عليها .. [**وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ**] : نعم .. لأنه كان بيده أن يطلب ويقول : يا ربِّ ، يا ربِّ .. فقد نبَّه الحديث إلى أن أمور الدنيا والآخرة بيد الله ، وأن على الإنسان أن يطلب ، وعلى الله

الإجابة .. فمَنْ سَأل أُجيب لما سأل – فلينظر الإنسان ماذا يطلب وممن يطلب – فمن وجد الخير فقد سأله من الله ، ومن وجد غير ذلك فقد غفل عن سؤال الله فحق له أن يلوم نفسه ..

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْخَيْرَ كُلَّهَ .. عَاجِلَهُ وآجِلَهُ ..
ما عَلِمْنَا مِنْهُ ومَا لَمْ نَعْلَمْ .. ومَا أَنْتَ بِهِ أَعْلَمُ ..
ونَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ .. عَاجِلِهِ وآجِلِهِ ..
ما عَلِمْنَا مِنْهُ ومَا لَمْ نَعْلَمْ .. ومَا أَنْتَ بِهِ أَعْلَمُ ..



٥ (**عِبَادٌ لِى ، يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ مُسُوكَ الضَّأْنِ ، وقُلُوبُهُمْ أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ ، وأَلْسنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، يَخْتِلُونَ النَّاسَ بِدِينِهِم .. أَبِى يَغْتَرُّونَ ، أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ ؟! .. فَبِي أَقْسَمْتُ لأَبْعَثَنَّهُمْ فِتْنَةً تَذَرُ الْحَلِيمَ فِيهِمْ حَيْرَانَ**) ..

[رَوَاهُ ابن عساكر عن عائشة (رضى الله عنها)]

وحديث قدسى آخر بالمعنى نفسه :

٦ (**لَقَدْ خَلَقْتُ خَلْقًا أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وقُلُوبُهُمْ أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ .. فَبِي حَلَفْتُ : لأُتِيحَنَّهُمْ فِتْنَةً تَدَعُ الْحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانَ .. فَبِي يَغْتَرُّونَ ، أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ ؟!**) ..

[رَوَاهُ التِّرمِذىُّ عن ابْنِ عُمَرَ (رضى الله عنهما)]

شرح الأحاديث :

الحديث يحدث عن أُناس ظاهرهم يخالف باطنهم .. [**يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ مسوكَ الضَّأْنِ**] : « مُسُوك » : جمع مَسْك ، وهو جلد الخروف .. [**وقُلُوبُهُمْ أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ**]: « القلوب » : الأفئدة ، وهى محل الإيمان ، ومحل الكفر والنفاق ، ومحل النِّيَّة .. وسُمى الفؤاد قلبًا لتقلُّبه .. وقلب العبد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء .. ولا يثبت القلب إلا أن يثبته الله .. ولذا كان النبى (ﷺ) يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ :

(**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**) [1] .. و« الصَّبْرُ » : نبات غاية فى المرارة .. فقلوب هؤلاء أشد مرارة من الصبر ، لما انطوت عليه من الكذب والنفاق والرياء والحسد والحقد .. [**وَأَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ**] : فهم حينما يتحدثون تخرج الألفاظ مثل سلاسل الذهب ، وكلامهم منسق وجميل ، وقد قال الله تعالى : (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾) [2] ..

[**يَخْتِلُونَ النَّاسَ بِدِينِهِم**] : « يَخْتِلُ » : يخدع أو يراوغ .. والمراد أنهم يُظهرون للناس الصلاح والتقوى ومظاهر التدين فينخدعون بمظهرهم ، وبمعْسول كلامهم ..

[**أَبِي يَغْتَرُّونَ**] : تَهديد لهؤلاء الناس الذين غرتهم أنفسهم ، وأعماهم طمعهم فى الدنيا ، والصراع عليها عن أن الله يعلم خائنة الأعيُن وما تُخفى الصدور .. [**أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ**] : إذا كانوا لا يتنبَّهون إلى أن الله تبارك وتعالى يعلم غيب السموات والأرض ، فهم مغرورون .. وإذا كانوا مُقرِّين بعلمه سبحانه وتعالى بكل شيء ومع ذلك يخدعون عباده ، فهم مجترئون .. [**فَبِي أَقْسَمْتُ**] : يحلف الله بذاته ، [**لأَلْبِسَنَّهُمْ فِتْنَةً**] « اللبس » : الخلط .. يسلط الله عليهم الفتنة فتحيط بهم ، وتتشابك ، فتختلط الأمور عليهم .. [**تَذَرُ الْحَلِيمَ فِيهِمْ حَيْرَانَ**] أى تَتْرُك من

---

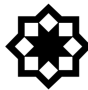
[1] رواه الترمذى ، كتاب القدر . [2] سورة البقرة الآيتان ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

كَمُلَ عقله ، واكتمل عِلْمُه ، مُتَحَيِّرًا لا يدرى ماذا يفعل ؟! وكيف يواجه ما أَلَمَّ به ؟! .. فكيف بغير الحليم ؟!!

هذا الحديث هام جدًّا ، يجب التنبه لما جاء فيه ، لنعلم أن الإنسان ليس بمظهره ، وإنما بِخُلُقِه وعمله وسلوكه .. لذا قال بعض الحكماء : (اعرفوا الرجال بالحق ، ولا تعرفوا الحق بالرجال) ..

ويوضح ذلك ما رُوى من أن رجلا ذهب إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقال له : يا أمير المؤمنين ، اقض لى بكذا ، فقال : ائتنى برجل يشهد لك .. فجاءه برجل ، فسأله عمر : هل تعرفه ؟ قال : نعم ، أعرفه يا أمير المؤمنين .. قال عُمَر : إذًا فقد صاحبته فى السفر . قال لا يا أمير المؤمنين ، لم أصحابه فى سفر . قال : إذًا فقد تعاملت معه بالدرهم والدينار . قال : لا يا أمير المؤمنين ، لم أتعامل معه بدرهم ولا دينار . قال : إذًا فدارك إلى جوار داره ، وبابك إلى جوار بابه ترى الداخل عنده والخارج من عنده . قال : لا يا أمير المؤمنين بل أسكن بعيدًا عنه . قال : إذًا فلعلك رأيته فى المسجد يتمتم بالقرآن يميل رأسه يَمنة تارة ، ويَسرة تارة . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، أراه دائما فى المسجد يتلو القرآن . فقال عمر (رضي الله عنه) : اذهب أيها الرجل ، فإنك لا تعرفه . ثم قال لصاحب القضية : اذهب فأتنى برجل يعرفك .

نسألُ اللهَ تبارك وتعالى أَنْ يَجْعَلَ بَوَاطِنَنَا خَيْرًا مِنْ ظَوَاهِرِنَا ..



الفَقْر والغِنَى

٧ (أَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى بْن عِمْرَان : يَا مُوسَى ، إِنَّ مِنْ عِبَادِى مَنْ لَوْ سَأَلَنِى الْجَنَّةَ بِحَذَافِيرِهَا لأَعْطَيْتُهُ ، وَلَوْ سَأَلَنِى غلافَ سَوطٍ لَمْ أُعْطِه .. لَيْسَ ذَلِكَ عَنْ هوانٍ لَه عَلَىَّ ، وَلَكِنْ أُرِيدُ أَنْ أَدَّخِرَ لَهُ فِى الآخِرَةِ مِنْ كَرَامَتِى ، وَأَحْمِيهُ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا يَحمِى الرَّاعِى غَنَمَه مِنْ مَرَاعِى السُّوءِ .. يَا مُوسَى ، ما أَلْجَأْتُ الْفُقَرَاءَ إِلَى الأَغْنِيَاءِ أَنَّ خَزَائِنِى ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ ، وأَنَّ رَحْمَتِى لَمْ تَسعْهُمْ ، وَلَكِنْ فَرَضْتُ لِلْفُقَرَاءِ فِى أَمْوَالِ الأَغْنِيَاءِ مَا يَسَعُهُمْ ، أَرَدْتُ أَنْ أَبْلُوَ الأَغْنِيَاءَ : كَيْفَ مُسَارَعَتُهُم فِيمَا فَرضْتُ لِلْفُقَرَاءِ فِى أَمْوَالِهِمْ .. يَا مُوسَى ، إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ أَتْمَمْتُ عَلَيْهِم نِعْمَتِى ، وأَضْعَفْتُ لَهُمْ فِى الدُّنْيَا لِلوَاحِدَةِ عَشْرُ أَمْثَالِهَا .. يَا مُوسَى ، كُنْ لِلْفُقَرَاءِ كَنْزًا ، ولِلضَّعِيف حِصْنًا ، ولِلْمُسْتَجِيرِ غَيْثًا ، أَكُنْ لَكَ فِى الشِّدَّةِ صَاحِبًا ، وفِى الْوَحْدَةِ أَنِيسًا ، أَكْلَؤُكَ فِى لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ) ..

[رَوَاهُ ابْنُ النَّجَّارِ عَنْ أَنَسٍ (رضى الله عنه)]

شرح الحديث :

فى الحديث أمور كثيرة منها :

أن العطاء فى الدنيا بحكمة ، وأن الغنى ليس دليلا على الرضا ، وأن الفقر ليس

دليلا على السَّخط ، وأن فى العباد من هو فى رعاية الله وكَنَفِه ، وقد لا يدرى العبد أنه كذلك : فهو يرى نفسه محرومًا ، يُزْوَى عنه الخير الدنيوىّ – حسبما يعتقد – لأنه كلما سأل أمرًا من أمور الدنيا أو شيئًا من متاعها لم يُعْطَه ، ولم يُجَب دُعاؤه ، مع أنه لو سَأل الجنة بحذافيرها لأعطاه الله ما سأل .. و« الحذافير » جمعٌ بمعنى : الجوانب ، ومفرده : حِذْفَار ، وحُذفور .. و« الغِلاف » معناه الغطاء .. و« السوط » معناه الكرباج المضفور من جلد ، أو ليف ، أو نحو ذلك .. أى لو طلب شيئا حقيرًا حتى لو كان غِلاف سوط لا يعطيه الله .. فى حين لو طلب الجنة بجميع جوانبها وبكل ما فيها لأخذها ، ويعلل الله ذلك فيقول : [**لَيْسَ ذَلِكَ عَنْ هوانٍ لَه عَلَىَّ**] : أى إن عدم الإجابة ليس سببه حقارة العبد أو انعدام قدره عند الله .. [**وَلَكِنْ أُرِيدُ أَنْ أَدَّخِرَ لَهُ فِى الآخِرَةِ مِنْ كَرَامَتِى**] وهو ما يُعبَّرُ عنه بما نسميه : (رَصِيدًا مُدَّخرًا) .. فإذا جاءِ فى الآخرة وجد كل ما طلبه فى الدنيا مُدَّخَرًا له هناك ويُقال له آنئذ : ماذا تأخذ فى مقابلها ؟؟ فيعطيه الله فى الآخرة ما لا يخطر له على بال ..

تُرَى لماذا يريد الله أن يَدَّخِرَ له فى الآخرة من كرامته ؟!.. لماذا يدخر له هذه الدعوات والثواب العظيم والخير الوفير فى الآخرة ؟!.. لماذا لا يُعطيه ولو جزءًا منها فى الدنيا ؟!.. ذلك لأنه يحميه .. كما قال : [**وَأَحْمِيهُ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا يَحمِى الرَّاعِى غَنَمَه مِنْ مَراعِى السُّوءِ**] فلو أن راعيًا خرج بغنمه يرعى ، وفوجئ بأرض قد زُرِعَت نباتًا سامًّا أو نباتًا ضارًّا ، فإنه لابد مانع غنمه – لأنــــها لا تفهم ، وستجرى تجاه النبات الأخضر – فيزجرها ، ويغلظ عليها ، ويشتد ، ويقسو ، رحمة بــــها ، وحفاظًا عليها ، لأنـــــها لو رعت لماتت .. وكذلك العبد الذى يطلب متاع الدنيا ،

لو أجابه الله لهلك ، لأنه قد يُسيء استخدام ما مُنح من نعَم ، كما أنـــها قد تطغيه ..

ويقول ربنا فى حديث قدسى عن المال : (**إِنَّا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لإِقَامِ الصَّلاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَلَوْ كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادٍ لأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِ ثَانٍ ، وَلَوْ كَانَ لَهُ وَادِيَانِ لأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِمَا ثَالِثٌ ، وَلا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرَابُ ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ**) [1] فالمال قد يُطغى ، والجاه والسلطان قد يُغرى باستغلال النفوذ ، وبالتالى قد يحمى الله عبده الصالح فى الدنيا فلا يعطيه منها شيئًا ، حتى لا يستغله فى معصية الله أو فى الظلم والطغيان .. وكذلك حتى لا يُسأل عنه يوم القيامة .. يقول رسول الله (ﷺ) : (**لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ : عَنْ عُمُرِهِ : فِيمَا أَفْنَاهُ .. وَعَنْ شبابه : فيما أَبْلاَهُ .. وَعَنْ مَالِهِ : مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ .. وعَنْ عِلْمِهِ : مَاذَا عَمِلَ فِيهِ**) [2] ..

الله يجيب عن السؤال الذى يُحَيِّر الكثيرين : لماذا ألجأ الفقراء إلى الأغنياء ؟!..

[**ما أَلْجَأْتُ الْفُقَرَاءَ إِلَى الأَغْنِيَاءِ أَنَّ خَزَائِنِى ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ ، وأَنَّ رَحْمَتِى لَمْ تَسَعْهُمْ**] : هل لأن خزائنه قد ضاقت عليهم ؟!.. أو أن رحمته – التى وسعت كل شىء – لم تسعهم ؟! حاشا لله : [**وَلَكِنْ فَرَضْتُ لِلْفُقَرَاءِ فِى أَمْوَالِ الأَغْنِيَاءِ مَا يَسَعُهُمْ**] إذًا فكل فقير فى أمة الإسلام له من المال فى ذمة الأغنياء ما يجعله لا يشعر بالحاجة أو الفاقة .. وبـــهذا امتحن الله الأغنياء : [**أَرَدْتُ أَنْ أَبْلُوَ الأَغْنِيَاءَ : كَيْفَ مُسَارَعَتُهُم فِيمَا فَرَضْتُ لِلْفُقَرَاءِ فِى أَمْوَالِهِمْ**] والابتلاء فى المسارعة وليس فى

---

[1] رواه أحمد ، مسند الأنصار . [2] رواه الطبرانى فى المعجم الكبير .

إخراج الحق ، فهذه قضية مقطوع فيها .. وربنا يقول : ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ [1] حق وليس فضلاً .. والفرق كبير بين الحق والفضل .. فالحق واجب ، أما الفضل فهو شيء يتفضل به المرء ولا يجب عليه .. إذًا فالاختبار ، ليس فى أن يعطى الحق لصاحبه فقط ، ولكن فى مسارعته فى إعطاء هذا الحق .. [**يَا مُوسَى ، إنْ فَعَلُوا ذَلِكَ أَتْمَمْتُ عَلَيْهِم نِعْمَتِى**] : إتمام النعمة هو الرِّضا فى الدنيا والآخرة .. وألا يُسأل المرء عنها ، لأنه لو سُئل عنها لذهبت لَذَّتُها .. [**وأَضْعَفْتُ لَهُمْ فِى الدُّنْيَا لِلوَاحِدَةِ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**] : أى إن الحسنة بعشر أمثالها .. وصدق رسول الله (ﷺ) حين قال : (**مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ**) [2] .. فما من زكاة تخرج من المال إلا ويُرزق صاحبه قدرها عشر مرات .. ثم يأتى التوجيه الرَّبَّانِىّ لموسى : [**يَا مُوسَى ، كُنْ لِلْفُقَرَاءِ كَنْزًا**] معناها : أن تعطى الفقير أكثر مما يتوقع .. ومعناها : أن ترده مجبور الخاطر وسعيدًا ، فقد نال ما طلب وزيادة .. [**ولِلضَّعِيفِ حِصْنًا**] : معناها : الحماية الكاملة ، بحيث لا يصل إلى هذا الضعيف ظلم أو قهر .. [**ولِلْمُسْتَجِيرِ غَيْثًا**] : معناها : إغاثة الملهوف كما يغيث الله الناسَ بالمطر ..

[**أَكُنْ لَكَ فِى الشِّدَّةِ صَاحِبًا ، وفِى الْوَحْدَةِ أَنِيسًا ، أَكْلَؤُكَ فِى لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ**] : يوضح الله ويعدد النعم المقابلة لمن يكون للفقير كنـــزًا وللضعيف حصنًا ، وللمستجير غيثًا .. [**أَكُنْ لَكَ فِى الشِّدَّةِ صَاحِبًا**] : « الصاحب » : هو المصاحب والملازم ، فلو وقع المرء فى شدة لوجد الله معه فى شِدَّته بلطفه ورعايته .. [**وفِى**

---

[1] سورة الذاريات آية ١٩ .
[2] رواه الترمذى ، كتاب الزهد .

الْوَحْدَةِ أَنِيسًا] : ما أجمل هذا الحب والعطاء !! إنه شىء يفوق الوصف .. فقد يحدث أن يجد المرء نفسه وحيدًا فيشعر بالملل والوحشة ، وهذا هو المعتاد .. ولكن هؤلاء الذين يطيعون ما أمرهم به الله – فى هذا الحديث – لا يشعرون بالوحدة أبدًا ، بل يشعرون بأن الله معهم ، وذكره يؤنسهم .. ثم عمم الخير فقال : [**أَكْلَؤُكَ فِى لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ**] تخيل إنسانًا يحفظه الله فى ليله ونـــهاره .. أى نعيم هذا ؟!

وبعد ..

فلو نظرنا إلى الأمة الإسلامية لوجدنا بعض أجزائـــها فى فقر مدقع : فهناك مسلمون لا يجدون ما يقيم أَوْدَهُمْ فيموتون جوعًا .. بل هناك من يبيع أولاده من أجل المال ، لأن أغنياء الأمة الإسلامية لا يخرجون زكاة أموالهم ، ولو أخرجوها ما بقى فقير واحد .. لأن الله قد وضع فى أموال الأغنياء ما يسع كل فقير ..

وهذا ركن واحد فقط من أركان الإسلام ، وفريضة واحدة لو أديناها كما يجب لتغير حالنا .. فكل أزماتنا الحالية أساسها اقتصادى ، وعليه .. إذا اكتفت دولة غنية وجب على الحاكم المسلم أن ينقل زكاة المال من بَلَده إلى البلاد الأخرى الفقيرة .. ولننظر إلى الحديث النبوى : (**حَصِّنُوا أمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ ، وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ ، واسْتَقْبِلُوا أَمْوَاجَ الْبَلاءِ بِالدُّعَاءِ**) [(1)] .. إذًا فمن خاف على ماله من السرقة أو الضياع أو النقصان فعليه بالزكاة ، فهى حصنه ، فمن أخرج الزكاة لا يمكن أن يصيبه الفقر ، أو ينقص ماله ، أو تُصاب تجارته بالخسارة ، ومن يخرج زكاة زراعته لا يمكن أن يصيبها ما يصيب الزراعات من آفات .. والذى

[(1)] رواه البيهقى فى شعب الإيمان .

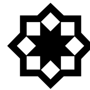
يمرض فعليه أن يخرج المزيد من ماله حتى يشفيه الله ..

وختامًا للموضوع نروى حديثًا لرسول الله (ﷺ) وَجَّهَه لِبلال (رضي الله عنه) : **(يا بلالُ ، الْقَ اللهَ فَقيرًا ، ولا تلْقه غَنيًّا .. قال : وكَيْفَ لِى بذَلكَ يا رسول الله ؟ قال : إِذَا رُزِقْتَ فَلا تَخْبَأْ ، وإذَا سُئِلْتَ فَلاَ تَمْنَعْ .. قال : وَكَيْفَ لِى بِذَلكَ يا رسول الله ؟ قال : هُوَ ذَاكَ وإلاَّ فالنَّار)** [1] ..

اللهُمَّ ارْزُقْنَا الرِّضَا بِمَا قَسَمْتَ لَنَا ..

وَوَفِّقْنَا لأَدَاءِ الْحَقِّ فِيمَا أَعْطَيْتَنَا ..

واصْرِفْ عَنَّا شُحَّ نُفُوسِنَا ..



[1] رواه الحاكم فى المستدرك .

٨ (أَوْحَى الله تعالى إلى مُوسَى : لَوْلاَ مَنْ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَــهَ إلاَّ الله لَسَلَّطْتُ جهَنَّمَ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا .. يَا مُوسَى ، لَوْلاَ مَنْ يَعْبُدُنِى مَا أَمْهَلْــتُ لِمَنْ يَعْصِينِى طَرْفَةَ عَيْنٍ .. يَا مُوسَى ، إِنَّه مَنْ آمَنْ بِى فَهُوَ أَكْرَمُ الْخَلْــقِ عَلَىَّ .. يَا مُوسَى ، إِنَّ كَلِمَةً مِنَ الْعَاقِّ تَزِنُ جَمِيعَ رِمَالِ الأَرْضِ .. قَــال مُوسَى : يَا رَبِّ ، مَنِ الْعَاقُّ ؟! .. قال : إِذَا قَالَ لِوَالِدَيْه : لاَ لَبَّيْكَ) ..

[رَوَاهُ أبُو نُعَيْمٍ عن أَنَسٍ (رضي الله عنه)]

شرح الحديث :

يتضح من الحديث فضل المؤمنين وفضل الطائعين : [**لَوْلاَ مَنْ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ الله لَسَلَّطْتُ جَهَنَّمَ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا**] : قد علمنا أن جهنم أوقدت ألف عام حتى احْمَرَّتْ ، ثم أوقدت ألف عام حتى ابْيَضَّتْ ، ثم أوقدت ألف عام حتى اسْوَدَّتْ ، فهى سوداء مظلمة .. لولا أن فى الأرض أُناسًا يعرفون الله تبارك وتعالى ، ويشهدون له بالوحدانية لسلط جهنم على أهل الدنيا جميعًا فأحرقتهم ، ولذلك لا تقوم الساعة ورجل فى الأرض يقول : (لا إله إلا الله) .. وقد يتساءل المرء : هل يزداد الكفر ويقل الإيمان تدريجيًا حتى لا يبقى على الأرض مؤمن فتقوم الساعة ؟! .. لا .. وإنما إذا أراد الله تبارك وتعالى أن تقوم الساعة أرسل ريحًا فمرّت على الأرض ، فقبضت أرواح المؤمنين جميعًا دفعة واحدة ، ولا يبقى على الأرض إلا الكفار ..

[**يَا مُوسَى ، لَوْلاَ مَنْ يَعْبُدُنِى مَا أَمْهَلْتُ لِمَنْ يَعْصِينِى طَرْفَةَ عَيْنٍ**] : إذًا فوجود الصالحين رحمة ، ومن أجلهم يمهل الله تبارك وتعالى العصاة ..

[**يَا مُوسَى ، إِنَّه مَنْ آمَنْ بِى فَهُوَ أَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَىَّ**] : إذًا فأساس الكرامة هو الإيمان .. فإن كان العبد مؤمنًا حقًّا ، فهو أكرم العباد على الله تبارك وتعالى ، وإذا كان كذلك : تُرى ماذا يكون حاله فى الدنيا ؟! وماذا يكون مآله فى الآخرة ؟!.. والغالبية العظمى من الناس الصالحين والمؤمنين يُخفى ربُّنا عنهم مقامهم حتى يظلوا – دائمًا وأبدًا – على وَجَل ، يرجون رحمته ويخافون عذابه ، ويحميهم من الغرور والكسل والاتِّكَال ..

ويتضح من الحديث : فضل التوحيد على الدنيا ، وفضل الموحدين على الناس ، وفضل الطائعين على العصاة ..

[**يَا مُوسَى ، إِنَّ كَلِمَةً مِنَ الْعَاقِّ تَزِنُ جَمِيعَ رِمَالِ الأَرْضِ**] : والرمل لا قيمة له ، ولكنه ثقيل الوزن .. فلو جُمع رمل الأرض كلها لوزنته كلمة واحدة من العاق !! فتعجب موسى : مَنْ هذا الذى تزن كلمة منه كل رمال الأرض ؟! .. فعَرَّفه ربنا أن هذا العاق هو الابن الذى إذا أمره أبوه أو أمه لم يطع هذا الأمر ، لأن معنى : [**لاَ لَبَّيْكَ**] لا أُجيبك ..

والعقوق خطيرٌ جدًّا .. ويتضح ذلك من حديث رسول الله (ﷺ) : (**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ؟ قالوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ .. قَالَ : الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ...**)[1] .. والعُقُوق كذلك من الذنوب التى يُعجِّل الله عقوبتها فى الدنيا قبل

---

[1] رواه البخارى ، كتاب الأدب .

الآخرة .. وفى سورة الأعراف : ﴿ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ ﴾[1] فمن هم أصحاب الأعراف ؟ قيل : إنَّهم رجال قُتلوا فى سبيل الله شهداء ، ولكن حدث منهم بعض العقوق فى الدنيا .. فالشهادة أوجبت لهم الجنة ، والعقوق أوجب لهم النار ، فَأُوقِفُوا بين الجنة والنار .. فلا هم دخلوا الجنة ، ولا هم دخلوا النار ..

وعن عبد الله ابن أبي أوفى (رضي الله عنه) أنه قال : جاء رجل إلى النبى (صلى الله عليه وسلم) فقال : يا رسول الله ، إن ههنا غلامًا قد احتضر يقال له قل : (لا إله إلاَّ الله) فلا يستطيع أن يقولها !! قال : أليس قد كان يقولها فى حياته ؟ قالوا : بلى ، قال : فما منعه منها عند موته ؟! .. قال : فنهض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ونَهضنا معه حتى أتى الغلام ، فقال : يا غلام ، قل : (لا إله إلاَّ الله) ، قال : لا أستطيع أن أقولها ، قال : ولِمَ ؟! قال : لعقوق والدتى ، قال : أَحَيَّة هى ؟ قال : نعم ، قال : أرسلوا إليها ، فأرسلوا إليها ، فجاءت ، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ابنك هو ؟ قالت : نعم ، قال : أرأيتِ لو أجَّجْتُ نارًا ضخمة فقيل لكِ (إن شفعت له خلينا عنه ، وإلاَّ حرقناه بهذه النار) أكنتِ تشفعين له ؟ .. قالت : يا رسول الله ، إذن أشفع .. قال : فأشهدى الله وأشهدينِي أنك قد رضيتي عنه ، قالت : اللهم إني أُشْهِدُك وأُشْهِدُ رسولَك أنى قد رضيت عن ابنى .. فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : يا غلام ، قل : (أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) .. فقالها .. فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ) ..[2]

والحديث عن الوالدين وبرهما يطول ..

---

[1] سورة الأعراف آية ٤٦ .
[2] رواه البيهقى فى شعب الإيمان ودلائل النبوة .

نَسْأَلُ اللهَ تَبارَك وتَعالَى :

إِيمَانًا لا يَنْفَدُ .. ويَقِينًا لا يتزَعْزَعُ ..

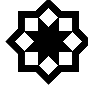
وقُرَّةَ عَيْنٍ تَدُومُ ..

وأَنْ يرْزُقَنا الْبِرّ بِآبَائنا وأُمَّهاتِنَا ..

وأَنْ يرْحَمَنَا وَإِيَّاهُمْ ..

ونَعُوذُ بِه مِنَ العُقُوقِ ..

ومِنْ ظُلْمِ الْحُقُوقِ ..



الحليم لا يَعْجل

٩ (أَوْحَى اللهُ إلى أَخِى الْعُزَيْرِ : يَا عُزَيْرُ ، إنْ أَصَابَتْكَ مُصِيبَةٌ فَلا تَشْكُنى إِلَى خَلْقِى ، فَقَدْ أَصَابَنِي مِنْكَ مَصَائبُ كَثِيرة فَلَمْ أَشْكُكَ إِلَى مَلائِكَتِي .. يَا عُزَيْرُ ، اعْصِنِى بِقَدْرِ طَاقَتِكَ عَلَى عَذَابِى .. وَسَلْنِى حَوائِجَكَ عَلَى مِقْدَارِ عَمَلِكَ لِى .. وَلاَ تَأْمَنْ مَكْرِى حَتَّى تَدْخُلَ جَنَّتِى .. فَاهْتَزَّ عُزَيْرٌ يَبْكِى ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ : لا تَبْكِ يا عُزَيْرُ ، فإنْ عَصَيْتَنِى بِجَهْلِكَ غَفَرْتُ لَكَ بِحِلْمِى ، لأَنِّى كَرِيمٌ لاَ أَعْجَلُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى عِبَادِى ، وأَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) ..

[رَوَاهُ الدَّيْلَمِىُّ عَنْ أبى هُرَيْرَة (رضي الله عنه)]

شرح الحديث :

الحديث واضح المعنى ، وهو فى غاية الأهمية ، لأنه يوضح ما يجب على العبد حال المصيبة من صبر ورضا بالقضاء والقدر .. فإذا أصاب الإنسان مكروهٌ ، ولقى أحدًا فسأله عن حاله ، فأجاب ناقمًا على حياته أو سأله عن أولاده فاشتكى مُرَّ الشكوى ، فإنه بهذا الأسلوب يشكو الله تبارك وتعالى ، وكأنه لا يرضى بقضائه وقدره ، من أجل ذلك يقول الله تعالى لِعُزَيْر : [**إنْ أَصَابَتْكَ مُصِيبَةٌ فَلا تَشْكُنى إِلَى خَلْقِى ، فَقَدْ أَصَابَنِي مِنْكَ مَصَائبُ كَثِيرة فَلَمْ أَشْكُكَ إِلَى مَلائِكَتِي**] : كم من معصية يرتكبها المرء ! .. وكم من جرم يرتكبه الإنسان !.. وكم من أمر لا

يطيعه !.. وكم من نـــهى يخالفه !.. ومع ذلك يستره الله ويرزقه : (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) [1] فالإنسان يظلم نفسه ، ويكفر بنعمة الله ، ولا يشعر بالمنعم ، ولا يشكره على النِّعَم التى أعطاها إياه .. ولو عد إنسان على نفسه المعاصى التى يرتكبها ، لوجد أنه لو عاجله رَبُّه بالعقوبة لدمره وأهلكه ، ولو نظر إلى طاعاته لوجد أنـــها ليست كافية مهما قدّم من طاعات .. ومع ذلك يجزع عند المصيبة ، ويشكو حاله أو فقره أو مرضه لمن لا يملك له نفعًا ولا ضرًّا ، ولا يذكر نِعَمَ الله عليه التى لا تُعدُّ ولا تُحصى ..

ويُرْوى أن رجلا كان يأتى إلى مسجد النبى (ﷺ) فيصلى ثم ينصرف مسرعًا ، ولا يمكث بالمسجد ولو قليلا ، فتعجب الصحابة منه ، وذهبوا إلى رسول الله (ﷺ) وأخبروه بأمره .. وحين سأله النبى (ﷺ) ، قال : يا رسول الله ، لا أملك إلا ثوبى هذا أحضر به إلى المسجد ، فأدرك الصلاة معك ، وأنصرف مسرعًا فأخلع هذا الثوب وأعطيه لامرأتى تلبسه لتدرك الصلاة فى وقتها .. فَرَقَّ النبى (ﷺ) لحاله ، وخلع رداءه وأعطاه إياه ، فأخذه الرَّجُل وذهب إلى منـــزله فرحًا مسرورًا ، وأعطى امرأته ثوبه ، وأخبرها بما حدث ، فتعجبت وقالت : ويحك يا رجل ، أتشتكى اللهَ لرسولِ الله !!..

[**يَا عُزَيْرُ ، اعْصِنِى بِقَدْرِ طَاقَتِكَ عَلَى عَذَابِى**] : تهديد ووعيد لمرتكب المعاصى ليفكر ألف مرة قبل المعصية : هل يقوى على تحمل تبعتها ؟!.. لو عقل الإنسان هذا الكلام ما جرؤ على معصية الله .. فمن الذى يحتمل عذاب الله وهو

---

[1] سورة إبراهيم آية ٣٤ .

القائل : (فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ۝٢٦) [1] ..

[**وَسَلْنِى حَوائِجَكَ عَلَى مِقْدَارِ عَمَلِكَ لِى**] : أى لك أن تطلب ما تشاء من الله تبارك وتعالى ، بشرط النظر أولا إلى ما عملت من عمل لله تستحق عليه ما تطلب .. فلو أن رجلاً يصلى طوال الليل فما هو فضله فى هذا العمل ؟!..

أولا : هو مسلم هداه الله للإسلام ، فليس له فضل فى إسلامه .. ثانيا : مِمّن تعلّم الصلاة ؟ ومَنْ أعطاه الصحة ليؤديها ؟ ومَنْ أيقظه بالليل للصلاة ؟!.. هو ((الله)) القائل : (ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَا) [2] .. إذًا فهو القادر على أن يأخذ نَفْسَه ولا يعيدها ، فلا يستيقظ .. وكذلك الزكاة والصدقة : مَنْ أعطاه المال ؟ ومَنْ أعلمه بفريضة الزكاة ؟!.. ومَنْ خلق الفقير وألجأه إليه ؟!.. ومَنْ بيده قبول هذا العمل ؟ كل ذلك من فضل الله .. إذا كان الأمر كذلك فليس للعبد فضل فى شىء من عمله .. بل هو المستفيد منه فى الدنيا والآخرة : (مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦ) [3] ..

[**وَلاَ تَأْمَنْ مَكْرِى حَتَّى تَدْخُلَ جَنَّتِى**] : إذًا فعلى الإنسان أن يبقى على خوف ووجل ، ويبكى على خطيئته ، ولا يطمئن لعمله ، حتى يدخل الجنة .. وقد رُوى عن أبى بكر الصديق (رضي الله عنه) قوله : (واللهِ لا آمَنُ مَكْرَ اللهِ ولَوْ كَانَتْ إِحْدَى قَدَمَىّ فِى الْجَنَّة) ..

نعم لأن الله سبحانه وتعالى يقول : (أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا

---

(1) سورة الفجر الآيتان ٢٥ ، ٢٦ . (2) سورة الزمر آية ٤٢ . (3) سورة فصلت آية ٤٦ .

ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾) [1] .. والإنسان فى هذه الدنيا لا يخلو عن التقصير فى الطاعة ، ولا يخلو عن المعصية كذلك ، ولو حُوسِبَ لهلك ، مصداقًا لقول النبى (ﷺ) : (**مَنْ حُوسِبَ هَلَكَ**) [2] .. كما أن دخول الجنة بالرحمة وليس بالعمل .. من أجل ذلك كله اهتز « عُزَير » يبكى لأنـــها أمور فوق طاقة البشر : فلا أحد يمنع نفسه عن المعصية تَمامًا فكل ابن آدم خطاء ، ولا أحد يملك عملا يستطيع أن يسأل الله به ، ولا أحد يستطيع أن يأمن مكر الله ، فلم يجد « عُزَير » غير البكاء فتداركه الله تبارك وتعالى برحمته ، وأوحى إليه : [**لا تَبْكِ يا عُزَيْرُ**] وطمأنه بقوله : [**فإنْ عَصَيْتَنِى بجَهْلِكَ غفَرْتُ لَكَ بِحِلْمِي ، لأَنِّى كَرِيـــمٌ لاَ أَعْجَلُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى عِبَادِى ، وأَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**] : معنى هذا أن الله تبارك وتعالى لا يَعْجَل بالعقوبة على عباده ، ويعطيهم الفرصة ليستغفروا ويتوبوا ، فإن فعلوا غفر لهم ، وهو سبحانه أَرْحَمُ الرَّاحمين ، وسعت رحمته كل شيء ، فلا يأس من رحمة الله .. والله سبحانه وتعالى أرحم من أن يستر العبد فى الدنيا ثم يفضحه فى الآخرة على رءوس الخلائق ، فعلى العبد أن يَسْتَتِرَ بستر الله ، ولا يُجَاهِر بمعصية الله .. فقد قال النبى (ﷺ) : (**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ**) [3] ..

نَسْأَلُ الله تبارك وتعالى السَّتْرَ والسَّلامَةَ ..
ونَسْأَلُهُ العَفْوَ والْعَافِيَةَ فِى الدِّينِ والدُّنْيَا والآخِرَةِ ..

---

(1) سورة الأعراف آية ٩٩ . (2) رواه أحمد ، باقى مسند الأنصار . (3) رواه البخارى ، كتاب الأدب .

١٠ **(أَوْحَى اللهُ إلى مُوسَى بن عِمْران : يـا مُوسَـى ، ارْضَ بِكِسْرَةِ خُبْزٍ مِنْ شَعِيرٍ تَسُدُّ بِهَا جَوْعَتَكَ .. وخِرْقَةٍ تُوَارِى بِهَا عَوْرَتَكَ .. واصْبِرْ عَلَى الْمُصِيبَاتِ .. وَإِذَا رَأَيْتَ الدُّنْيَا مُقْبلَةً فَقُلْ : إِنَّا لله وإِنَّا إِلَيْه رَاجِعُونَ عُقُوبةٌ عُجِّلَتْ فِي الدُّنْيَا .. وإِذَا رَأيْتَ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً والفَقْرَ مُقْبلاً فَقُلْ : مَرْحَبًا بِشِعَارِ الصَّالِحِينَ) ..**

[رَوَاهُ الدَّيْلَمِىُّ عَنْ أبى الدَّرْدَاء (رضي الله عنه)]

شرح الحديث :

يتضح من الحديث أمور منها :

أن عُمْر الدنيا قصير ، وزادها قليل ، وخطرها حقير .. وأن الأنبياء والمرسلين حُرِمَ أكثرهم من الدنيا ، وكان النبى (صلى الله عليه وسلم) فقيرًا زاهدًا فيها ، فقد قال (صلى الله عليه وسلم) : (**عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا ، قُلْتُ : لا يَا رَبِّ ، وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْمًا ، وَأَجُوعُ يَوْمًا – وَقَالَ ثَلاثًا أَوْ نَحْوَ هَذَا – فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ ، وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وَحَمِدْتُكَ**) [١] .. وكان (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ فِي دُعَائه : (**اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا ، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا ، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ**) [٢] .. وتقول

[١] رواه الترمذى ، كتاب الزهد .

[٢] رواه ابن ماجه ، كتاب الزهد .

السيدة عائشة (رضى الله عنها) : (**مَا شَبِعَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ**)(١) .. وعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ (رضى الله عنها) قَالَتْ : **كَانَ يَمُرُّ بِرَسُولِ اللَّه (ﷺ) هِلالٌ ، وَهِلالٌ ، وَهِلالٌ ، مَا يُوقَدُ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِه نَارٌ .. قُلْتُ يَا خَالَةُ : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تَعِيشُونَ ؟! قَالَتْ : عَلَى الأَسْوَدَيْنِ : التَّمْرِ وَالْمَاءِ** (٢) ..

وقد علمنا أن كل ما زاد على الكفاف أو الكفاية يُعْتَبَر من النعيم الذى يُسأل عنه العبد يوم القيامة .. فعَنْ أَبِي عَسِيبٍ – مولى رسول الله (ﷺ) – قَالَ : (**خَرَجَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) لَيْلاً فَمَرَّ بِي فَدَعَانِي إِلَيْهِ فَخرَجْتُ ، ثُمَّ مَرَّ بِأَبِي بَكْرٍ فَدَعَاهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ مَرَّ بِعُمَرَ فَدَعَاهُ فَخَرَجَ إِلَيْهِ ، فَانْطَلَقَ حَتَّى دَخَلَ حَائِطًا** (٣) **لِبَعْضِ الأَنْصَارِ ، فَقَالَ لِصَاحِبِ الْحَائِطِ : أَطْعِمْنَا بُسْرًا** (٤) **، فَجَاءَ بِعِذْقٍ** (٥) **فَوَضَعَهُ ، فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) وَأَصْحَابُهُ ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ بَارِدٍ فَشَرِبَ فَقَالَ : لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، قَالَ : فَأَخَذَ عُمَرُ الْعِذْقَ فَضَرَبَ بِهِ الأَرْضَ حَتَّى تَنَاثَرَ الْبُسْرُ قِبَلَ رَسُولِ اللَّه (ﷺ) ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَئِنَّا لَمَسْئُولُونَ عَنْ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟! قَالَ : نَعَمْ إِلاَّ مِنْ ثَلاثٍ : خِرْقَةٍ كَفَّ** (٦) **بِهَا الرَّجُلُ عَوْرَتَهُ ، أَوْ كِسْرَةٍ سَدَّ بِهَا جَوْعَتَهُ ، أَوْ جُحْرٍ يَتَدَخَّلُ فِيهِ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ** (٧)) (٨) ..

---

(١) رواه الترمذى ، كتاب الزهد . (٢) رواه أحمد ، باقى مسند الأنصار . (٣) حائطًا : بستانًا .
(٤) البُسْر : أول ما يُدرك من التمر . (٥) العذق : الغصن من النخل فيه ثمره . (٦) كف : أى ستر .
(٧) القر : البرد . (٨) رواه أحمد ، مسند البصريين .

ويروى أَنَّ « عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ » (رضي الله عنه) أُتِيَ بِطَعَامٍ وكَانَ صَائمًا فَقَالَ : **(قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي .. كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ : إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلاهُ ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلاهُ بَدَا رَأْسُهُ .. وَقُتِلَ حَمْزَةُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي .. ثُمَّ بُسطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسطَ – أَوْ قَالَ : أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا – وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا .. ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ)**[1] ..

وقد ذم الله تبارك وتعالى الدنيا فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، مثل : (مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ)[2] .. (وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ)[3] .. (مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ)[4] .. (فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ)[5] .. وكذلك فى أحاديث قدسية : (**يَا دُنْيَا اخْدِمِى مَنْ خَدَمَنِى ، واسْتَخْدِمي مَنْ خَدَمَكِ**)[6] .. (**يَا دُنْيَا مُرِّى عَلى أوْلِيَائِى ، لاَ تَحْلَوْلِى لَهُمْ فَتَفْتِنِيهِم**)[7].. ويقول الله يوم القيامة : (**أَدْنُوا مِنِّى أحِبَّائِى .. فتقول الملائكة : ومَنْ أَحِبَّاؤكَ ؟! .. فيقول : فقراء الْمُسْلِمين .. فَيُدْنَوْنَ منْهُ .. فيقولُ : أما إِنِّى لَمْ أَزْوِ الدُّنْيَا عَنْكُم لِهَوان كَانَ بِكُمْ عَلَىَّ ، ولَكِنْ أَرَدْتُ بِذَلِكَ أَنْ أُضَعِّفَ لكُمْ كَرَامَتِى الْيَوْمَ فَتمَنَّوْا عَلَىَّ مَا شِئْتُمُ الْيومَ ، فَيُؤْمَرُ بِهِم إِلَى الْجَنَّةِ قَبْلَ الأغْنِياء بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا**)[8] .. ويقول

---

[1] رواه البخارى كتاب الجنائز . [2] سورة هود الآيتان ١٥ ، ١٦ . [3] سورة آل عمران آية ١٨٥ .
[4] سورة النساء آية ١٣٤ . [5] سورة البقرة آية ٢٠٠ . [6] رواه القضاعي عن ابن مسعود.
[7] رواه القضاعي عن ابن مسعود. [8] رواه أبو الشيخ عن أنس (رضي الله عنه) .

الرسول (ﷺ) : (**يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ ، وَهُوَ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ**)[١] .. ويقول (ﷺ) : (**الْتَقَى مُؤْمِنَانِ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ : مُؤْمِنٌ غَنِيٌّ ، وَمُؤْمِنٌ فَقِيرٌ ، كَانَا فِي الدُّنْيَا ، فَأُدْخِلَ الْفَقِيرُ الْجَنَّةَ ، وَحُبِسَ الْغَنِيُّ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُحْبَسَ ثُمَّ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ ، فَلَقِيَهُ الْفَقِيرُ فَيَقُولُ : أَيْ أَخِي ، مَاذَا حَبَسَكَ ؟! وَاللَّهِ لَقَدِ احْتُبِسْتَ حَتَّى خِفْتُ عَلَيْكَ !! فَيَقُولُ : أَيْ أَخِي ، إِنِّي حُبِسْتُ بَعْدَكَ مَحْبِسًا فَظِيعًا كَرِيهًا ، وَمَا وَصَلْتُ إِلَيْكَ حَتَّى سَالَ مِنِّي الْعَرَقُ مَا لَوْ وَرَدَهُ أَلْفُ بَعِيرٍ كُلُّهَا آكِلَةُ حَمْضٍ** [٢] **لَصَدَرَتْ عَنْهُ رِوَاءً** [٣])[٤] .. إنه موقف السؤال : ماذا تركت ؟ وكيف اكتسبت ؟ وفيم أنفقت ؟ .. وكلما كثر مال العبد طالَ موقفه للسؤال .. وليس معنى ذلك أن نرفض المال إذا أتانا ، وإنما علينا أن نعمل فيه بطاعة الله .. فمن العباد من لو أغناه الله لفسد حاله .. ومن العباد مَنْ لو أفقره الله لفسد حاله ..

[**واصْبِرْ عَلَى الْمُصِيبَات**] : لبيان الصبر المطلوب نروى القصة التالية : مر النبى (ﷺ) بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ ، فَقَالَ لها : (**اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي**) .. فلم تعرفه المرأة وقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي ، فلما عَرَفت المرأة فيما بعد أنه رسول الله (ﷺ) ذهبت إليه على الفور وقالت له : يا رسول الله ، لَمْ أَعْرِفْكَ .. فلم يَلُمْها (ﷺ) وقال : (**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى**) [٥] ..

من ذلك يتضح أن بكاء المرأة عند القبر كان نواحًا ، وإلا لما قال لها النبى (ﷺ) : (**اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي**) .. لأن الدموع لا ضرر فيها ، وقد بكى عليه الصلاة والسلام

---

[١] رواه الترمذى ، كتاب الزهد . [٢] الْحَمْض : كل نبات فيه ملوحة ، إذا أكلته الإبل شربت عليه .
[٣] رواء : غير عِطاش . [٤] رواه أحمد ، مسند بنى هاشم . [٥] رواه أحمد ، والبخارى .

مرارًا : بكى حين كان حفيده يموت فى حَجْره فتحدرت الدموع من عينيه فقيل له : مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّه !! قَالَ : (**هَذه رَحْمَةٌ يَضَعُهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عبَاده ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ منْ عِبَاده الرُّحَمَاءَ**) [1] ، وبكى حين مات ابنه إبراهيم .. إذًا فالصبر المطلوب هو عند مفاجأة المصيبة فيتلقاها العبد بالرضا قائلاً : (إِنَّا لله وإِنَّا إليه راجِعُون) ..

[**وَإِذَا رَأَيْتَ الدُّنْيَا مُقْبِلَةً فَقُلْ : إِنَّا لله وإِنَّا إِلَيْه رَاجِعُونَ عُقُوبَةٌ عُجِّلَتْ فِي الدُّنْيَا**] : إذا أقبلت الدنيا ، واطمأن لها الإنسان ، لا يفكر فى الموت وإنما يفكر فى الاستمتاع بــها .. فالدنيا فتنة ، لذا وجب أن يقول : (إِنَّا لله وإِنَّا إليه راجِعُون) .. فأنت وما تملك لله .. وسيأتى يوم تُرْجع فيه إلى الله ، فلا تغفل عن الموت ، واستغل الدنيا التى أقبلت عليك فى مرضاة الله وطاعته ، وأنفق ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، وصِلْ رحمك وصِلْ أهل قرابتك من الفقراء بسدِّ حاجاتــهم ، فما أجمل الدنيا والدين إذا اجتمعا ..

ولذا ذهب فقراء المهاجرين إلى رسول الله (ﷺ) فقالوا : **ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَات الْعُلَى ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ : يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي ، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ : يَحُجُّونَ بِهَا ، وَيَعْتَمِرُونَ ، وَيُجَاهِدُونَ ، وَيَتَصَدَّقُونَ .. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) : (أَفَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِه مَنْ سَبَقَكُمْ ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ ، وَلا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلاَّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ ؟) قَالُوا :**

---

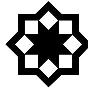
[1] رواه البخارى ، كتاب الأيمان والنذور .

بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ .. قال : (تُسَبِّحُونَ ، وَتَحْمَدُونَ ، وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ) .. فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فَقَالُوا : سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا ، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ !! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) : (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) [1] ..

[عُقُوبَةٌ عُجِّلَتْ فِي الدُّنْيَا] : لأن الدنيا حين تقبل عليك ليس ذلك دليلا على الرضا ، فالله يعطى الدنيا لِمَنْ يُحِبُّ ولِمَنْ لا يُحِبُّ .. بل قد تكون فتنة واستدراجًا فتطغيك وتُنسيك آخرتك ، وإن لم يحدث فلن تمر بغير سُؤال عنها يوم القيامة ..

[وإِذَا رَأَيْتَ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً والفَقْرَ مُقْبلاً فَقُلْ : مَرْحَبًا بِشِعَارِ الصَّالحِينَ] : نعم لأن الرسول (ﷺ) يقول : **(فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا ، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ)** [2] ..

اللَّهُمَّ خِرْ لَنَا .. واخْــتَرْ لَنَا ..
واخْــتَرْ لَنَا الْخَيْرَ كُلَّه .. وَأَرْضِنَا بِهِ ..



---

[1] رواه البخارى ومسلم .
[2] رواه الترمذى ، كتاب صفة القيامة .

صِلَة الرَّحِم

١١ (**أَنَا الرَّحْمَـــٰنُ ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ ، وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنِ اسْمِي .. فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ ، وَمَنْ ثَبَّتَهَا ثَبَّتُّهُ .. إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**) ..

[رَوَاهُ أحْمَد والبُخَارِى وأبو داوُد والتِّرْمِذِىُّ وابن حِبَّان والْحَاكِمُ والْبَيْهَقِىّ عن ابن عَوْفٍ (رضي الله عنه) ، والحاكم ، والخرائطى والخطيب عن أبى هريرة (رضي الله عنه)]

ويقول الله تبارك وتعالى لِلرَّحِمِ :

١٢ (**خَلَقْتُك بِيَدِي ، وشقَقْتُ لَكِ اسْمًا مِنْ اسْمِى ، وَقَرَّبْـــتُ مَكَانَك مِنِّى .. وعِزَّتِي وجَلالِي : لأَصِلَنَّ مَنْ وَصَلَكِ ، وَلأَقْطَعَنَّ مَـــنْ قَطَعَكِ ، ثُمَّ لاَ أَرْضَى حَتَّى تَرْضَيْ**) ..

[رَوَاهُ الْحَكِيم عن ابن عَبَّاس (رضى الله عنهما)]

شرح الأحاديث :

الرَّحِم هم القرابةُ ، والرَّحم درجات : فالإِخْوَة من أمٍّ أقرب الناس رَحِمًا ، وكذلك كل من اشترك فى رحم واحدة مثل : أبناء الخال وأبناء الخالة وأبناء العمومة ، لأن الأب والعم من رَحِم واحدة ، وكذلك الفروع تصبح من رحم واحدة .. وذوو الرَّحِم يدخل فيهم ذوو القربى جميعا وإنما هى درجات بِحَسَبِ قُرْب الرَّحِم .. وصِلَة الأرحام من أهم الأمور فى الدين ، لأنـــها من الأخلاق الحميدة التى أمر

بـــها الإسلام .. وهى تأتى فى الأهمية بعد بِرِّ الوالدين مباشرة .. وصلة الرحم هى إيصال كل خير إلى ذوى القربى ، ودفع كل شر عنهم بحسب الاستطاعة ، وعلى قدر الطاقة .. وبالتالى إذا كان ذو الرحم فقيرًا فالصلة تكون بالمال ، وإن كان مظلومًا فالصلة بالنصر والتأييد ، وإن كان مريضًا فالصلة بالزيارة والعِيَادَة ، وإن كان قويًّا ذا فضل جاه فصلة الرحم النصح .. وإن كان ضالاًّ فالصلة بالوعظ والإرشاد والتعليم ، وهكذا ..

فإذا كان الأمر كذلك وجدنا أنه ما من أحد فينا إلا وقد أُمِرَ بصلة الرحم ، ولا أحد فينا إلا وهو إما واصل لرحمه أو قاطع لها ..

ففى الحديث الأول : [**فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ ، وَمَنْ ثَبَّتَهَا ثَبَّتُّهُ**] و« التثبيت » تأكيد للوصل الذى لا ينقطع ..

وفى الحديث الثانى : [**ثُمَّ لاَ أَرْضَى حَتَّى تَرْضَيْ**] معنى هذا أن ذوى الأرحام لهم حقوق ، إذا لم يأخذوها فى الدنيا طالبوا بـــها يوم القيامة ، يوم لا درهم ولا دينار .. وأحسن الناس خُلُقًا وأكرمهم على الله تبارك وتعالى هو مَنْ وصل مَنْ قطعه ، وأعطى مَنْ حرمه ، وعفا عَمَّن ظلمه ، وهو خُلُق النبى (ﷺ) فقد أَمَرَه الله تبارك وتعالى بذلك .. وهكذا خُلُق الأنبياء جميعًا فترى « يُوسُفَ الصِّدِّيق » يقول لإِخْوَتِه على رغم ما فعلوه به كما حكى القرآن الكريم : (لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ)[1] .. وحين فُتحت مكة وجاء صناديد قريش الذين

---

[1] سورة يُوسُف آية ٩٢ .

عادوا النبى (ﷺ) وكذَّبوه وآذوه قال لهم : (**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ ؟**) **قَالُوا : خَيْرًا ، أَخٌ كَرِيمٌ ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ .. قَالَ** : (**اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**)[1] .. وكان عليه الصلاة والسلام حينئذ قادرًا على أن يقطع رقابـــهم ، ويرد لهم الإساءة ، ومع ذلك قال لهم : (لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ) .. وقد تعدت صلته (ﷺ) لرحمه أهله إلى مُرْضعته « حليمة السعدية » حيث كان يبسط لها رداءه لتجلس عليه ، ويكرم وفادتـــها ، وكذلك فعل مع « الشَّيمَاء » أخته من الرضاعة ..

ولا يصح قطع الرَّحم إلا فى حالة واحدة وهى : أن يكون ذو الرَّحم كافرًا فاجرًا ، لا يُجدى معه نُصح ولا وعظ ، بل يحدث الضرر بصلته .. على أن نستمر فى الدعاء له بالهداية طالما كان حيًّا ، ومصاحبته بالمعروف كلما تيسَّر ذلك ..

ويقول النبى (ﷺ) : (**إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِه قَالَتِ الرَّحِمُ : هَذَا مَقَامُ الْعَائِذ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَة ، قَالَ : نَعَمْ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَك ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَك ؟ قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَهُوَ لَكِ**)[2] .. وهذا الحديث يؤكد المعنى الذى ورد فى الحديث القدسى .. ويُنَبِّهُنا (ﷺ) إلى أن الصَّدَقَة على الفقير صَدَقة ، وعلى ذى الْقُرْبَى ثِنْتَان : صَدَقة وصِلَة ..

ومما لا شك فيه أن بعض الناس يكونون على خلاف مع ذوى القربى على أمور دنيوية (كالميراث مثلاً) فلنعمل جاهدين على أن نُنْهِى هذه الخلافات بالتسامح والرجوع إلى الحق ، والبادئ بذلك خيرٌ من غيره ، فالمسلمان إذا التقيا وسلَّمَ أحدهما

---

(1) سيرة ابن هشام .

(2) رواه البخارى ، كتاب الأدب .

على الآخر أنزل الله تبارك وتعالى عليهما رحمة قدرها مائة جزء ، فأعطى للبادئ بالسلام تسعة وتسعين جزءًا ، وأعطى لِمَنْ رد السلام جزءًا واحدًا ..

فيجب علينا أن نصل رحمنا سواء أكنا ظالمين أم مظلومين : فالظَّالِم يجب عليه أن يستغفر الله ويؤدى الحق ، والمظلوم يعفو ويصفح ، لأن العفو والصفح يؤديان إلى عفو الله تبارك وتعالى ، إذ قال : (وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [1] فإذا عفوت وصفحت فثق أن الله سيجزيك بالمغفرة والعفو ..

ولنعلم أن اسم الرَّحِم مشتق من أسماء الله تبارك وتعالى وهذا يوضح شرف الرَّحِم ، ومدى قدرها العالى الكريم الجليل .. ومن الخطورة بمكان أن لا نستوعب قوله تعالى : **[إِنَّ رَحْمَتِى سَبَقَتْ غَضَبِى]** إذًا فلو كان بينك وبين ذوى الرحم شيءٌ فاجعل الرحمة تسبق الغضب ، ودع الخير يسبق الشر ، والمعروف يسبق المنكر ..

ولعَلَّ الله – تبارك وتعالى – يَهْدِينا إلى سَوَاء السَّبيل ..
ويُصْلِحُ نُفُوسَنَا .. ويُصْلِحُ ذَاتَ بَيْنِنَا ..
إِنَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ، وبِالإِجَابَةِ جَدِيرٌ ..
وهُوَ نِعْمَ الْمَوْلَى ونِعْمَ النَّصِير ..

[1] سورة النور آية ٢٢ .

١٣ (إِنَّ أَوَّلَ شَىْءٍ كَتَبَهُ اللهُ فِى اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ : بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ، إِنِّى أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا لاَ شَرِيكَ لِى ، إِنَّ مَنِ اسْتَسْلَمَ لِقَضَائِى ، وَرَضِىَ بِحُكْمِى ، وَصَبَرَ عَلَى بَلاَئِى بَعَثْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الصِّدِّيقِينَ) ..

[رَوَاهُ الدَّيْلَمِىّ عن ابن عَبَّاس (رضى الله عنهما)]

هذا الحديث يختص بركن من أركان الإيمان وهو الرضا بالقضاء والقدر خيره وشره .. حُلْوه ومُرِّه ..

ويقول حديث قدسى آخر :

١٤ (انْطَلِقُوا يَا مَلائِكَتِي إِلَى عَبْدِى ، فَصُبُّوا عَلَيْهِ الْبَلاءَ صَبًّا ، فَيَصُبُّونَ عَلَيه الْبَلاَءَ ، فَيَحْمَدُ الله ، فَيَرْجِعُون فَيَقُولُون : يَا رَبَّنَا صَبَبْنَا عَلَيْهِ الْبَلاءَ كَمَا أَمَرْتَنَا ، فَيَقُولُ : ارْجِعُوا فَإِنِّى أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهُ) ..

[رَوَاهُ الطَّبَرَانِىُّ فى المعجم الكبير عن أَبِى أُمَامَة (رضي الله عنه)]

شرح الأحاديث :

« الإيمان » : هو الإيمان بالله ، وملائكته ، وكُتُبه ، ورُسُله ، واليوم الآخر ،

وبالقضاء والقدر خيره وشَرِّه .. حُلْوه ومُرِّه .. وإذا أردنا أن نلخـــص الإيمـــان والإسلام .. نجد أن الإسلام أساسه الاستسلام لأوامر الله تبارك وتعالى .. فأركان الإسلام هى : الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، بعد شهادة أن لا إلـــه إلا الله وأن محمدًا رسول الله ..

أما الإيمان فهو عبارة عن التصديق بالغيبيات ، والرضا بالقضاء والقدر : فنحن لم نر الله ، ومع ذلك نؤمن به ، ونُصَدّق بوجوده .. والملائكة غيب ، وكذلك الكُتُب السابقة ، والرُّسُل ، فنحن لم نر « نُوحًا » ، و« إبراهيم » ، و« موسى » ، و« عيسى » .. ومع ذلك نؤمن برسالاتـــهم جميعا ، ونصدق بـــهم وبجميع الأنبياء ، وبمعجزاتـــهم دون أن نراها .. ورضانا بالله ربًّا يستوجب الإيمان بأن له الحكم .. وله الأمر .. وله التصريف .. وله التدبير .. فلا يمكن أن يصـــدر حكمه أو أمره أو قضاؤه إلا عن حكمة وإن خفيت على ذوى الألباب ..

فإذا آمنت بذلك وصدقت به فلا شك أنك سترضى بكل ما يأتيك من قِبَلِ الله تبارك وتعالى ..

ولذلك فالإيمان درجات ، يزيد وينقص ، فلا يتساوى الناس أبدًا فى إيمانـــهم .. وكان ابن عَيَّاش (رضي الله عنه) يقول : (مَا سَبَقَكُمْ أبو بَكْرٍ بِكَثْرَةِ صَوْمٍ ولا صَلاَةٍ ، إِنَّمَـــا سَبَقَكُمْ بِشَئْءٍ وَقَرَ فِى صَدْرِهِ) .. والصحابة كلهم مؤمنون ، ولكن أبا بكـــر كان أعلى الناس فى درجات الإيمان ..

والْقَضَاءُ فى اللغة هو القطع أو الفصل أو الانتهاء من الأمر والفراغ منه وإحكامه :

(فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ) [١] أى : فرغ من إتمامهن وخلقهن على ما هن عليه الآن .. (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ) [٢] أى : حَكَمَ وأَمَرَ بذلك .. أما الْقَدَرُ فهو تفصيل القضاء : أين ؟ ومتى ؟ وكيف يكون ؟ .. فقد قضى ربنا تبارك وتعالى أن يخلق آدم ليكون خليفة فى الأرض فذلك قضاء .. وأما الْقَدَرُ : فهو شكل آدم ، وطوله ، وأين ينـزل ، وما إلى ذلك من تفصيلات ..

ومثال ذلك من أمور الدُّنْيَا : قرار إنشاء مبنى لغرض معين فذلك قَضَاء ، وما يحتاجه الإنشاء من : مواد ، وأدوات ، وأيدٍ عاملة بمواصفات ومقادير معينة فهو قَدَر ..

وكلمة « قَدَر » قد تأتى فى القرآن بمعنى تفصيلات القضاء ، وقد تأتى أيضا بمعنى المقدار مثل قوله تعالى : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ) [٣] .. (وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ) [٤] ..

والاستسلام لقضاء الله سبحانه وتعالى معناه : الرِّضَا .. فالناس جميعا يستسلمون لقضاء الله طوعًا أو كرهًا ، فمثلاً : رجل تُوفِّى ولده !! فماذا يفعل فى قضاء الله ؟! لا يملك تغييره ، فهو إما مُستسلم لقضاء الله على رغم أنفه غير راضٍ عنه .. وإما راضٍ بقضاء الله فيقول : (كَانَتْ عَارِيَةً فَاسْتَرَدَّهَا صَاحِبُها ، وإِنَّا لله وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) وهذا هو الذى استسلم لقضاء الله مختارًا راضيًا ..

---

[١] سورة فصلت آية ١٢ .　[٢] سورة الإسراء آية ٢٣ .　[٣] سورة القمر آية ٤٩ .

[٤] سورة المؤمنون آية ١٨ .

والرِّضا بِحُكْم الله : أَنْ تُؤمن إيمانًا صَادقًا بقوله عز وجل : (إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ)[1] .. فهو الْملِكُ الذى يَحْكُم ما يُريد ، فتتلقى كل ما يحدث لك بالإذعان والتسليم : فإن كان خيرًا شكرت ، وإن كان شَرًّا صبرت .. والبلاء قد يأتى بمعنى الاختبار ، وقد يأتى بمعنى المصيبة : (وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً)[2] أى : نختبركم ونمتحنكم .. (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾)[3] أى : نصيبكم ببعض المصائب ، فمن صبر فله الْبُشْرى ، ودليل صبره أن يقول : (إِنَّا لله وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) مخلصًا من قلبه ..

والصبر على البلاء : أن تؤمن إيمانًا راسخًا بأن الله تبارك وتعالى لا يقضى إلا بالحق : (وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ)[4] وأنْ تعلم أنَّ أفعال الله تبارك وتعالى صادرة عن حكمَة وعِلْم ، وأن الخير فيما اختاره الله .. وأن إليه المرجع والمآب ..

فإذا كان الأمر كذلك فلابد أنْ تستسلم لقضاء الله تبارك وتعالى ، وأن ترضى بحكمه ، وتصبر على بلائه ، فإذا فزت بهذه الصفات بُعِثْت يوم القيامة مع الصِّدِّيقين ، والصِّدِّيقون : جمع صِدِّيق ، والصِّدِّيق هو الذى لا يكذب ولا يرتاب .. وقد لُقِّبَ « أبو بكر » بالصِّدِّيق لأنه صدَّق النبى (ﷺ) من البداية إلى النهاية ، ولم يرتب فيه قطّ .. فإذا بُعِثْتَ مع الصديقين فمعنى ذلك أنك لم ترتب فى قضاء الله ،

---

(1) سورة يوسف آية ٤٠ . (2) سورة الأنبياء آية ٣٥ . (3) سورة البقرة الآيتان ١٥٥ ، ١٥٦ .

(4) سورة غافر آية ٢٠ .

لأن قضاء الله عدل وحق ..

فالعبد فى هذه الدنيا يتقلب بين الفضل والعدل .. فما أصابك من رحمة ، أو نعمة فذلك من فضل الله وليس باستحقاقك .. وما أصابك من ضرٍّ فى بدن أو مال أو ولد ، فذلك بِعدْل الله ..

فقضاء الله تبارك وتعالى ، وتصرفه فى الإنسان إما فضل وإما عدل ، فإذا كان فضلاً فقل : الحمد لله وأنا لا أستحق هذا ، ولكنه فضل الله يؤتيه من يشاء ، فتشعر أنك عبد إحسان ، وتصبح غير شديد التمسك بما آتاك لأنه فضل .. وإذا أصابك ما يَسُوؤكَ فأيقنت أن ذلك عدل الله فيك ، وأن الله تبارك وتعالى ليس بظلاّم للعبيد رُزِقْتَ الصبرَ والرضا وهدوء البال .. وليس معنى ذلك أن كل من أصابته مصيبة يكون مُسْتَحِقًّا لها .. فقد تُكتب له المنزلة فى الجنة لا يبلغها بعمله ، فيبتليه الله تبارك وتعالى بالمصيبة ، ويرزقه الصبر عليها ، فيبلغ منزلته بالصبر ، وليس بالعمل ، ولذا نجد الله تبارك وتعالى يقول : (مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ) [1] ..

والمؤمن الحقيقى لا يفرح بدنيا تصيبه ، ولا يحزن على فواتها ، ولكنه يفرح بالطاعة ، وتحزنه المعصية .. فكل ما فَاتَكَ مِنَ الله سِوَى الله يَسِيرٌ .. وكُلُّ حَظٍّ لك سِوَى الله حَقِيرٌ : (قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) [2] ..

---

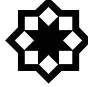
[1] سورة الحديد الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

[2] سورة يونس آية ٥٨ .

ويقول (ﷺ) : (**إِذَا سَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ ، وَسَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ**) [1] ..

نَسْألُ الله تبارك وتعالى أَنْ نَكُون مِمَّنْ :

تَسُرُّهُمْ طَاعَتُهُمْ .. وتَسُوءُهُم مَعْصِيَتُهُم ..



[1] رواه أحمد ، باقى مسند الأنصار .

العَفْوُ لِمَنْ عفا

١٥ **(إِنَّكَ إِنْ ذَهَبْتَ تَدْعُو عَلَى آخرَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ ظَلَمَكَ ، وإِنَّ آخرَ يَدْعُو عَلَيْكَ أَنَّكَ ظَلَمْتَهُ .. فَإِنْ شِئْتَ اسْتَجَبْنَا لَكَ وعَلَيْكَ ، وإِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُكُمَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَأُوسِعُكُمَا عَفْوِى)** ..

[رَوَاهُ الْحَاكِمُ عن أنسٍ (رضي الله عنه)]

شرح الحديث :

لا أحد منا لم يُظلمْ أو يشعر بالظلم يومًا .. والإحساس بالظلم له مرارة فظيعة – لا يستشعرها إلا مَنْ ذاقها – تدفعه إلى الدعاء ، فيدعو على مَنْ ظلمه ، ودعاء المظلوم غاية فى الخطورة لأنه مستجاب .. يقول النبى (صلى الله عليه وسلم) : (**اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهَا لَيْس بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ**) [1] .. ويقول : (**ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمُ : الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَالإِمَامُ الْعَادِلُ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ : يَرْفَعُهَا اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ ، وَيَقُولُ الرَّبُّ : وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّك وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ**)[2] .. وقد ورد فى الحديث القدسى : (**اشْتَدَّ غَضَبِى عَلَى مَنْ ظَلَمَ مَنْ لا يَجِدُ نَاصِرًا غَيْرِى**) [3] ..

ولا يشترط فى المظلوم – الذى يستجاب دعاؤه – أن يكون صالحًا أو تقيًّا ،

---

[1] رواه البخارى ، كتاب المظالم والغصب .

[2] رواه الترمذى ، كتاب الدعوات .

[3] رواه الطبرانى فى المعجم الصغير .

فنص الحديث لم يحدد نَوْعَ المظلوم صالِحًا كان أم فاسقًا ، لأننا فى مملكة الْحَكَم العدل الذى أمرنا بالعدل فى الرضا والغضب إذ يقول : (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ) [1] .. ونقول للمظلوم : لا شك أنك فى يوم من الأيام ظلمت أحد الناس ، ولو بسوء ظَنِّكَ فيه – والعبرة بإحساس من يشعر بأنه ظُلِم ، وليس بإحساس مَنْ ظلمه – وإن أمامك أمرًا من اثنين : إما أن ترفع يديك بالدعاءِ فتُجَاب ، عاجلاً : بأن ينصرك الله ويرد عنك المظالم ، أو آجلاً : بأن يُؤخِّرَك إلى يوم القيامة فيعطيك حقك ممن ظلمك ، وفى هذه الحالة يستجيب الله تبارك وتعالى لدعاءِ مَنْ ظُلِمَ على يديك عاجلاً أو آجلاً .. وإما أن تعفُوَ وتصفح عمن ظلمك ، وفى هذه الحالة قد يُلهم الله تبارك وتعالى مَنْ ظلمته أن يعفُوَ عنك هو الآخر ، ويصفح فيجازيكما الله على عَفْوِكُما بالعفو والصفح يوم القيامة ..

وقد أمر الله تبارك وتعالى بالعفو ، وبَشَّر بالثواب عليه فى قوله : (وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [2] .. (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ) [3] .. (وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ) [4] ..

اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا ..
وارْزُقْنَا الْعَفْوَ والْعَافِيَةَ فِى الدِّينِ ، والدُّنْيَا ، والآخِرَةِ ..

---

(١) سورة المائدة آية ٨ . (٢) سورة النور آية ٢٢ . (٣) سورة الشورى آية ٤٠ .
(٤) سورة الشورى آية ٤٣ .

أهل المعروف

١٦ **(أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إلى (ذِى الْقَرْنَيْن) : وَعِزَّتِى وجَلاَلِى مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَىَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ ، وَسَأَجْعَلُ لَهُ عَلَمًا .. فَمَنْ رَأَيْتَهُ حَبَّبْتُ إِلَيْهِ الْمَعْرُوفَ واصْطِنَاعَهُ ، وحَبَّبْتُ إِلَى النَّاس الطَّلَبَ إِلَيْهِ ، فأَحِبَّهُ ، وتَوَلَّهُ ، فَإِنِّى أُحِبُّه وأَتَوَلاَّهُ .. ومَنْ رَأَيْتَهُ كَرَّهْتُ إِلَيْه الْمَعْرُوفَ ، وبَغَّضْتُ إِلَى النَّاسِ الطَّلَبَ مِنْهُ ، فَابْغِضْهُ ، ولا تَتَوَلَّهُ ، فَإِنَّهُ مِنْ شَرِّ مَنْ خَلَقْتُ) ..**

[رَوَاهُ الدَّيْلَمِى عن بَكْر بن عبد الله المزنى عن أبيه (رضى الله عنهما)]

شرح الحديث :

فى سورة الكهف تحدث القرآن عن « ذى القرنين » .. وقد اختلف الناس فى أمره : أهو رَسُول ؟ أم هو نَبِىّ ؟ أم هو عبد صالح مكَّنه الله فى الدنيا ، وأعطاه من الأسباب ما يستطيع معها أن يُسيطر على الأرض وأهلها ؟ ..

ومَنْ كان على هذه الحالة لا يلزمه قوة مادية كالسلاح والجنود ، وإنما يلزمه مفاتيح .. وعلى سبيل المثال : حين جاءت « سليمان » أنباء « بلقيس » قال : (أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا) [1]– وكان الجنّ مُسَخَّرًا له – فقال له قائل من الجن : إنه يستطيع أن يأتيه به قبل أن يقوم من مقامه ، وكان يعنى قبل انتهاء مجلسه .. وكان

---

[1] سورة النمل آية ٣٨ .

لـــ « سليمان » مجلسان : مجلس مع الجن ، ومجلس مع الإنس ، وكانا لا يجتمعان : (قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ) [1] .. فلما انتقل إلى مجلس الإنس ، قال له إنسان (قيل : هو وزير له اسمه آصف) : أنا آتيك به قبل أن يَرْتدَّ إليك طَرْفُكَ ، و لم ينتظر جوابه ، لأنه لو انتظر للبث وقتًا ومضى زمن ، فجاءه به مباشرة : (أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ)[2] وما جاءه به هو العرش ، والعرش هنا : الجدران وما عليها ، وأرضه وما عليها .. أى قوة هذه التى تفعل ذلك ؟! .. إنـــها أحد هذه المفاتيح التى نتكلّم عنها ..

وكمثل « عيسى » حين قال : (أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ)[3] كيف تأَتَّى له هذا ؟! .. إنـــها قوة ومقدرة آتاه الله إياهــــا .. وكذلك « ذو القرنين » كان له من القوة والمقدرة ما يفوق الخيال ، حتى إنه حبس « يأجُوجَ ومَأجُوجَ » وبنى دونَهم السور .. وعلى الرغم من التقدم العلمى الهائل الذى وصلنا إليه فى عصرنا الحالى وما سوف نصل إليه ، فـــ « يأجُوجُ ومَأجُوجُ » إذا خرجوا ودمروا السد ، فلن يقدر عليهم أهل الأرض جميعًا ، فكيف استطاع أن يحبسهم ، ويبنى دونَهم سدًّا ؟! .. إنـــها المفاتيح التى نتحدث عنها ..

والحديث المذكور يكاد يكون هو الوحيد الذى ذُكِرَ فيه اسم « ذى القرنين » ،

---

(1) سورة النمل آية ٣٩ . (2) سورة النمل آية ٤٠ . (3) سورة آل عمران آية ٤٩ .

وغرابة الحديث هى فيما أوحى الله به إلى « ذى القرنين » : إنه المعروف وأهله .. فقد كان « ذو القرنين » من أهل المعروف .. إذ قال القوم له : ابن لنا سدًّا ، لأن « يأجُوجَ ومَأجُوجَ » يفسدون فى الأرض ، وقالوا له : نعطيك ما تطلب من المال ، فرفض : (قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ) [1] فهو يصنع ما يصنع من المعروف لوجه الله ..

وكثيرا ما نسمع كلمة « المعروف » ، فما هو المعروف ؟ أصل الكلمة فى اللغة من الفعل : « عَرَف يَعْرِف » ، ويقال : « فلان معروف » أى : يَعْرِفهُ الناس ، فَسُمِّيَ المعروف معروفًا لأنه قد عُرِفَ حُسْنُه بالشرع والعقل .. و« الْمُنْكَر » هو ما أنكره الشرع والعقل .. ورسولنا (ﷺ) يقول : (**إِنَّ للهِ عبَادًا يَفْزَعُ النَّاسُ إِلَيْهِم فِى حَوَائِجِهِمْ ، هُمُ الآمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَة مِنْ عَذَابِ الله**) [2] .. ويقول (ﷺ) لعَلىّ بن أبى طالب كَرَّم الله وجهه : (**يَا عَليّ ، إِنَّ الله خلق المعرُوفَ ، وخَلَقَ لَهُ أَهْلاً ، فَحَبَّبَهُ إِلَيْهِم ، وحَبَّبَ إليهم فِعَالَهُ ، وَوَجَّه إِلَيْهم طُلاَّبَه ، كما وَجَّه الْمَاءَ في الأَرْضِ الْجَدْبَة لِتَحيا به ، ويَحيا به أهْلُها ، إِنَّ أَهْلَ الْمَعْرُوف في الدُّنْيَا هُم أهل الْمَعْروف في الآخِرة**) [3] .. وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة أى أصحاب الشفاعة .. وأهل المعروف تجدهم لا يتوانون عن خدمة الناس ، وهم يُؤْثِرُونَهم على أنفسِهم ، ويصلحون بينهم ، ويستهلكون وقتهم فى إسعاد الآخرين .. ولهذا خلقهم الله ، وساق إليهم طُلاَّبَ المعروف ، وأجرى على أيديهم الخير ..

---

[1] سورة الكهف آية ٩٥ . [2] رواه أبو الشيخ في الثواب عن ابن عباس . [3] رواه الحاكم عن على (رضي الله عنه) .

وقد أُمرت أمة محمد (ﷺ) بالمعروف ، فالرسول (ﷺ) يأمر بذلك فى أحاديث كثيرة منها : (**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لا يَظْلِمُهُ ، وَلا يَخْذُلُهُ ، وَلا يَحْقِرُهُ ، وَحَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ**)[1] .. (**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لا يَظْلِمُهُ ، وَلا يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[2] .. وسَتْرُ المسلم من المعروف ، فإذا رأيت مسلمًا على مُنْكَرٍ فلا تفضحه ، وإن استطعت النصيحة فانصحه على ألاّ تكون نصيحتك فى العلَنِ ، فالنصيحة فى العَلَن فضيحة .. ويُروى عن « الحسن والحسين » (رضى الله عنهما) أنـــهما وهما صغيران رأيا رَجُلا لا يُحسن الوضوء ، فتحيرا : كيف يقولان له ذلك وهو كبير فى السن ؟! .. فقال لـــه أحدهما : إنى وأخى مختلفان على الوضوء فهلاَّ راقبتنا – ونحن نتوضأ – لتحكم بيننا ؟! .. فتوضَّآ أمامه ، ففهم الرجل وقال لهما : (ما أعظم هذا الأدبَ وما أجملَه !!) .. يتضح لنا من هذه القصة كيف يُسدى الإنسان المعروف والنصيحة ..

والمعروف لا يُؤخذ عليه أجر ، فعندما قالوا لـــ « ذى القرنين » : (نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا)[3] و« الْخَرْجُ » : هو الأجر ، قال : (مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيۡرٌ)[4] .. وما من نبى ولا رسول إلا وقـــال : (وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ

(1) رواه أحمد ، باقى مسند المكثرين .
(2) رواه البخارى ، كتاب المظالم والغصب .
(3) سورة الكهف آية ٩٤ .
(4) سورة الكهف آية ٩٥ .

ٱلۡعَـٰلَمِينَ) [١] .. وكذلك الدعوة إلى الله وتعليم الدين لا يصح أن يُؤخذ عليهما أَجْرٌ – إلا أن يكون المرءُ معيَّنا لذلك – وتلك شيمة أهل المعروف .. فكلما استطعت أن تصنع معروفًا فاصنع ، لأن المعروف يوم القيامة له عَلَمٌ – أى راية – فهلاَّ تخيلنا إذا أراد ربنا أن يرفع عَلَمًا للناس كيف يكون شأنه ؟! .. وكيف يكون شأن هؤلاء الناس ؟! .. وفى حديث رسول الله (ﷺ) : (**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ ، فَأَخَّرَهُ** [٢] ، **فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ**) [٣] وفى حديث آخر رُوِىَ : (**أَنَّ رَجُلاً رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ الثَّرَى** [٤] **مِنَ الْعَطَشِ ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ ، فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ حَتَّى أَرْوَاهُ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ**) [٥] .. فالمعروف أمرُه يسيرٌ يمكن عملُهُ بسهولةٍ ، ولا يغفل الله عنه أبدًا .. ومن المعروف أيضًا إيصال صوت الضعيف إلى ذوى السلطة ، والتطوع بالخدمة ، والتطوع بإيجاد مصدر رزق لمحتاج ، والتوسط بين الناس ، والشفاعة لأصحاب الحاجات .. ويقول ربُّنا تبارك وتعالى : (مَّن يَشۡفَعۡ شَفَـٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنۡهَا) [٦] .. وكان الرسول (ﷺ) حين يَقْسِم الغنائم يقول : (**إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَخَازِنٌ ، وَاللَّهُ يُعْطِي**) [٧] .. وكان (ﷺ) إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ : (**اشْفَعُوا** [٨] **تُؤْجَرُوا ،**

---

[١] سورة الشعراء الآيات ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٨٠ .

[٢] أخره : أبعده عن الطريق .

[٣] رواه البخارى ، كتاب الأذان .

[٤] الثَّرى : التراب الرطب .

[٥] رواه البخارى ، كتاب الوضوء .

[٦] سورة النساء آية ٨٥ .

[٧] رواه البخارى ، كتاب فرض الخمس .

[٨] الشفاعة : التوسط فى إمضاء الأمر ، وقضاء الحوائج .

وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ (ﷺ) مَا شَاءَ) [1] .. وكذلك إذا استطعت أن تردّ غيبة مسلم فافعل ، فإنه معروف .. وكلما استطعت ذكر أخيك بخير فافعل ، فإنه معروف .. واحذر – إذا كنت موظفًا وتأخذ أجرًا على خدمة الناس وقضاء مصالحهم – أن تعرقلها ، وتشق عليهم فيشق الله عليك ..

ولتفعل – أيها الأخ المسلم – المعروف ولا تنتظر عليه أجرًا : ماديًّا كان أو معنويًّا ، حتى كلمة الشكر لا تنتظرها ، كى لا ينقُص أجرك .. افعل المعروف وأنت تستشعر أن الناس الذين يأتون إليك ألجأهم الله إليك ، وجعل حوائجهم عندك ، ولو شاء لألجأك إليهم ، وجعل حاجتك عندهم .. فهذه نعمة تستحق الشكر ..

نَسْأَلُ الله تبارك وتعالَى :

أن يجعَلَنَا جميعًا مِنْ أهلِ الْمَعرُوفِ ..

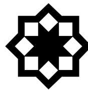
وأنْ يُقَدِّرَ لَنَا الْخَيْرَ حيثُ كانَ ..

وأَنْ يجعَلَنا مَفَاتِيحَ لِلخَيْر مَغَاليقَ لِلشَّرِّ ..

وَأَن يُجْرِىَ الخيرَ على أيدِينَا ..

ويَجْعَلَنَا مِنْ أهْلِ المعرُوفِ فِى الدُّنْيَا والآخِرَةِ ..

وأنْ يَبْعثَنَا آمِنِينَ مِنْ عَذَابِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ .



---

[1] رواه البخارى ، كتاب الزكاة .

نور الوجه

١٧ **(لَيْسَ كُلُّ مُصَلٍّ يُصَلِّى !! .. إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلاَةَ مِمَّـــنْ : تَوَاضَعَ لِعَظَمَتِى .. وَكَفَّ شَهَوَاتِه عَنْ مَحَارِمِى .. وَلَــمْ يُصِــرَّ عَلَـــى مَعْصِيَتِى .. وَآوَى الْغَرِيبَ .. كُلُّ ذَلِكَ ، وَعِزَّتِى وَجَلاَلِى إِنَّ نُورَ وَجْهِهِ لأَضْوَأُ عِنْدِى مِنْ نُورِ الشَّمْسِ .. عَلَىَّ أَنْ أَجْعَلَ الْجَهَالَةَ لَــهُ عِلْمًــا ، وَالظُّلْمَةَ نُورًا .. يَدْعُونِى فَأُلَبِّيه ، وَيَسْأَلُنِى فَأُعْطِيه ، وَيُقْسِمُ عَلَىَّ فَأُبَرُّهُ .. أَكْلَؤُهُ بِقُوَّتِى ، وَأَسْتَحْفِظُهُ مَلاَئِكَتِى .. مَثَلُهُ عِنْدِى كَمَثَلِ الْفِرْدَوْسِ : لا يَتَسَنَّى ثَمَرُهَا ، وَلا يَتَغَيَّرُ حَالُهَا) ..**

[رَوَاهُ الدَّيْلَمِىُّ عن حَارِثَة بن وَهْبٍ (رضي الله عنه)]

شرح الحديث :

يبين الحديث أهمية الصلاة ، وليس فقط الصلاة ، وإنما الصلاة المقبولـــة .. فـــالله سبحانه وتعالى يقول : (فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ)[1] ..

ولا يأتى لفظ الصلاة فى القرآن بمفرده ، وإنما يأتى مقرونًا مثل : (وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ)[2] .. (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ)[3] .. (الَّذِينَ هُمْ فِى صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ)[4] .. وهذا يعنى أن الصلاة ليست مجرد حركات بلا روح ، لذا يقول

(1) سورة الماعون الآيتان ٤ ، ٥ .   (2) سورة النساء آية ١٦٢ .   (3) سورة المؤمنون آية ٩ .
(4) سورة المؤمنون آية ٢ .

بعض الشيوخ فى شأن الصلاة : إن تكبيرة الإحرام استئذان للوقوف بين يدى الله .. فإذا رفعت يديك بحذاء كتفيك وكان ذلك مصاحبًا لقولك : (الله) فعليك أن تستشعرَ فى هذه اللحظة أنك تطرح الدنيا خلف ظهرك ، لأنه لا شيء فى الوجود إلا الله .. وعندما تخفض يديك بعد أن تُلقى الدنيا خلف ظهرك - ويكون ذلك مصاحبًا لقولك : (أكبر) - عليك أن تستشعر أنك تخفض ذاتك ، ووجودك ، وكل موجود تواضعًا لعظمة الله تبارك وتعالى ..

ويُذْكَرُ أن أحد الفقهاء قال لأحد الزُّهَّاد مُمْتَحِنًا له : (حَدِّثنى عن سجود السَّهْوِ ، وكيف يُجْبَرُ السَّهْو فى الصلاة ؟) فأجابه الرجل قائلاً : (سجود السهو يتم قبل التسليم إذا كان فى الصلاة نقص ، ويتم بعد التسليم إذا كان فى الصلاة زيادة ، وذلك مذهب الإمام مالك .. أما فى مذهب أبى حنيفة فسجود السهو بعد التسليم على الإطلاق ، وعند الشافعية والحنابلة هو قبل التسليم على الإطلاق .. وسجود السهو يَجْبُرُ ما سها العبد عنه فى صلاته إلا أنه لا يجبرُ فرضًا أو رُكنًا من أركان الصلاة ، وهو سجدتان) .. ثم قال الزَّاهد : (وإنْ كنتُ أرَى أنَّ من سها فى صلاته وجب أن يُجْلَدَ !!) ، فقال الفقيه : (كيف ؟!) ، قال الزاهد : (كيف يسهو العبد وهو فى حضرة مولاه ؟!) ..

ويُروى أن سعيد بن المسيب (رضي الله عنه) رأى رجلا وهو يعبث بلحيته في الصلاة ، فقال : (لو خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ) .. لذا نجد فى القرآن الكريم أوصافًا للمصلين ، مثل : (وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ)[1] .. (قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ

[1] سورة النساء آية ١٦٢ .

هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ)[1] .. (وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ)[2] .. (حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ)[3] ..

فالصلاة ليست حركات تؤدى والمرء غافل أو مشغول بأمور الدنيا .. فقد نَهى النبى (ﷺ) (نَهْى كراهةٍ) عن صلاة الْمحتَقِن (الحابس لفضلاته) ، وصلاة الجائع ، والشاعر بالبرد أو الحر الشديدين ، لأن كل هذا يقدح فى كمال الخشوع فى الصلاة ، كما قال (ﷺ) : (**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاةُ ، وَحَضَرَ الْعَشَاءُ ، فَابْدَءُوا بِالْعَشَاءِ**)[4] .. وهذا يوضح معنى قوله تعالى فى الحديث القدسى : [**لَيْسَ كُلُّ مُصَلٍّ يُصَلِّى**] ..

[**إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلاَةَ مِمَّنْ : تَواضَعَ لِعَظَمَتِى ، وَكَفَّ شَهَواتِهِ عَنْ مَحَارِمِى**] ..

التواضع لله بالصلاة أن تكون خالصة لوجهه ، وأن يعلم المرء أنـــها من فضل الله عليه ، وأنـــها نعمة تستحق الشكر ، وليست تفضلا من العبد يستحق الأجر .. وأن لا يتطاول على غير المصلين بصلاته ، فلو شاء الله لهدى الناس جميعًا .. كما أنه لا يستقيم أن يصلى المصلى ثم يأتى بالمعاصى ، ولا يتورع عن ذلك ، فربُّنا تبارك وتعالى يقول فى كتابه العزيز : (إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ)[5] .. فإذا كانت الصلاة على الوجه الأكمل فإنـــها ولاشك تنهى عن الفحشاء والمنكر ، لأن الله سبحانه وتعالى لا يقول إلا الصدق .. فإذا نَهت الصلاة العبدَ عن الفحشاء

---

[1] سورة المؤمنون الآيتان ١ ، ٢ . [2] سورة المؤمنون آية ٩ . [3] سورة البقرة آية ٢٣٨ .

[4] رواه البخارى ، كتاب الأطعمة . [5] سورة العنكبوت آية ٤٥ .

والمنكر فصلاته صحيحة .. أما إذا لم يحدث فلابد أن صلاته غير صحيحة وأنـــها خرجت عن كونـــها صلاة ، فأقوال الله تعالى لا يتطرق إليها الشك .. فهل معنى ذلك أن المصلى لا يخطئ أبدا ؟! .. لا .. بل يُخطئ ويتوب ، لذا يقول الحديث : [**وَلَمْ يُصِرَّ عَلَى مَعْصِيَتِي**] فمن الممكن أن يقع المصلى فى الخطيئة ، ولكنه لا يُصِرُّ عليها ، بل يسارع بالاستغفار : (إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ)[1] .. (وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ)[2] ..

[**وآوَى الْغَرِيبَ**] الغريب : كلمة تطلق على المسافر الذى لا يجد مـــأوى ، وتُطلق على الوحيد الذى لا أحد له من أهل البلدة فهو منها ولكنه غريب فيها كما جاء فى قول النبى (ﷺ) : (**بَدَأَ الإِسْلامُ غَرِيبًا ، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**)[3] .. وهذا لا يعنى أن الغريب مسلم فى بلاد كفر ، وإنما قد يكون مسلمًا فى بلاد مُسْلمة لا تلتزم بتعاليم الإسلام ، فيشعر آنذاك بالغربـــة لكثـــرة المعاصـــى والفواحش من حوله فهو كالذى قال فيه رسول الله (ﷺ) : (**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ ، الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ**)[4] ..

[**كُلُّ ذَلِكَ**] أى : كل ما ذُكِرَ ، يفعله العبد ابتغاء وجه الله ، وابتغاء مرضاته ..

---

(1) سورة الأعراف آية ٢٠١ . (2) سورة آل عمران الآيتان ١٣٥ ، ١٣٦ . (3) رواه مسلم ، كتاب الإيمان .
(4) رواه الترمذى ، كتاب الفتن .

[**وَعِزَّتِى وجَلالِى إِنَّ نُورَ وَجْهِهِ لأَضْوَأُ عِنْدِى مِنْ نُورِ الشَّمْسِ**] : يقسم الله بعِزَّته وجلاله – وقسمه هذا عظيم تَهتزّ له السموات والأرض – على أن لوجه هذا العبد نورًا أشدّ ضوءًا من نور الشمس ، وهذا النور موجود فعلاً ولا يراه الناس ، وإنما يراه أهل الملأ الأعلى .. وحين يُبعث يوم القيامة يكون له نور كذلك : (يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ)[1] ..

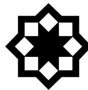
[**عَلَىَّ أَنْ أَجْعَلَ الْجَهَالَةَ لَهُ عِلْمًا**] : وعد من الله تبارك وتعالى بتحويل جهل العبد التقىّ إلى علم .. وأشرف العلوم على الإطلاق هو العلم بالله تبارك وتعالى .. [**والظُّلْمَةَ نُورًا**] وعدٌ آخر بأن يُنير الله طريقه ويسدد خطاه ، ويوفقه فى كل أفعاله .. فكل ما يفعله هذا العبد يكون بنور الله .. [**يَدْعُونِى فَأُلَبِّيه**] : أى حنان هذا ؟! .. [**ويَسْأَلُنِى فَأُعْطِيه**] : يدعو فيُجاب .. ليس هذا فقط ! ولكنْ هناك مقام آخر ليس لكل الناس : [**ويُقْسِمُ عَلَىَّ فَأَبَرُّهُ**] أى : لو أقسم على الله فى شىء لم يُوقِعْ يمينه بل جرَت الأحداث وفق ما أقسم عليه مِصْداقًا لقول الرسول (ﷺ) : (**إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ**)[2] .. [**أَكْلَؤُهُ بِقُوَّتِى**] الكلاءة : الحفظ والعناية .. فهو محفوظ بحفظ الله له ، محاط بالعناية والرعاية .. [**وَأَسْتَحْفِظُهُ مَلائِكَتِى**] فلا يصيبه أذى أبدًا إلا أن يشاء الله ، وتنصرف عنه الشياطين ، ويتلقى لَمَّات الخير من الملائكة فى ليله ونهاره ..

---

[1] سورة الحديد آية ١٢ .
[2] رواه البخارى ، كتاب الصلح .

[مَثَلُهُ عِنْدِى كَمَثَلِ الْفِرْدَوْسِ : لا يَتَسَنَّى ثَمَرُهَا ، ولا يَتَغَيَّرُ حَالُهَـــا] « لا يتسنَّى » : أى لا تؤثر فيه السنون .. ومعنى « لا يتغير حالها » : أى لا يتقهقر المصلى الموصوف فى الحديث ، أو يقل مقامه ، أو يضيع منه النور أبدًا ، بل هـــو فى رُقِـــىٍّ دائـــم ، وكل أمره صائر إلى خير كما قال النبى (ﷺ) : (**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ : إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**)[1] .. (**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ**[2] **مِنَ الزَّرْعِ ، مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ كَفَأَتْهَا**[3] ، **فَإِذَا اعْتَدَلَتْ تَكَفَّـــأُ بِـــالْبَلاءِ .. وَالْفَاجِرُ كَالأَرْزَةِ**[4] **صَمَّاءَ**[5] **مُعْتَدِلَةً حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ**)[6] ..

نسألُ الله تبارك وتعالى أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ مُقِيمِى الصَّلاة ..
الْخَاشعِينَ فى أَدَائِهَا .. والْمُحَافِظِينَ عَلَيْهَا ..
وأنْ يَجعلَهَا نُورًا لنا فى الدُّنْيَا والآخِرَةِ .



(1) رواه مسلم ، كتاب الزهد .
(2) الخامة : الغضّة الرّطبة من النبات .
(3) كفأتـــها : قلبتها .
(4) الأرزة : شجرة قوية عظيمة .
(5) صماء : ثابتة لا تتمايل مع الريح .
(6) رواه البخارى ، كتاب المرضى .

١٨ (يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِى وَرَجَوْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ .. وَلَوْ أَتَيْتَنِى بِمِلْءِ الأَرْضِ خَطَايَا لَقِيتُكَ بِمِلْءِ الأَرْضِ مَغْفِرَةً مَا لَمْ تُشْرِكْ بِى شَيْئًا .. ولو بَلَغَتْ خَطَايَاكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِى ، لَغَفَرْتُ لَكَ) ..

[رَوَاهُ الطَّبَرانِىُّ فى الثلاثة عَن ابن عَباسٍ (رضى الله عنهما)]

وقريب منه حديث قدسى آخر يقول :

١٩ (أَنَا أَكْرَمُ وَأَعْظَمُ عَفْوًا مِنْ أَنْ أَسْتُرَ عَلَى مُسْلِمٍ فى الدُّنْيَا ثُمَّ أَفْضَحهُ بَعْدَ أَنْ سَتَرْتُهُ .. وَلاَ أَزَالُ أَغْفِرُ لِعَبْدِى مَا اسْتَغْفَرَنِى) ..

[رَوَاهُ الْحكِيمُ عن الحسن (رضي الله عنه) مرسلاً ، والْعُقَيْلِىُّ عن أَنسٍ (رضي الله عنه)]

وآخر يقول فيه رب العزة :

٢٠ (وَعِزَّتِى ، وَوَحْدَانِيَّتِى ، وارْتِفَاعِ مَكَانِى ، واحْتِيَاجِ خَلْقِى إِلَىَّ ، واسْتِوَائِى عَلَى عَرْشِى ! إِنِّى لأَسْتَحْيِى مِنْ عَبْدِى وأَمَتِى : يَشِيبَانِ فِى الإِسْلاَمِ ثُمَّ أُعَذِّبُهُمَا) ..

[رَوَاهُ الخليلي والرَّافعي عن أنس (رضي الله عنه)]

شرح الأحاديث :

الحديث الأول : يتضح منه أهمية الاستغفار ، وللاستغفار صيغ كثيرة : منها ما أخبرنا النبى (ﷺ) عنه أنه سيد الاستغفار ألا وهو : (**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي ، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ**)[١] .. وعن عدد مرات الاستغفار نجد أن رسول الله (ﷺ) وهو المعصوم كان يستغفر فى اليوم مائة مرة .. وكان يقول : (**إِنَّهُ لَيُغَانُ** [٢] **عَلَى قَلْبِي ، وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**) [٣] فكم نستغفر نحن ؟! .. وهناك صيغ أخرى للاستغفار وردت فى القرآن منها : (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَسِرِينَ)[٤]، وهذه هى الصيغة التى استغفر بـــها آدمُ وحواءُ فغفر الله لهما ، وقالها أيضا بنو إسرائيل بعد ما اتخذوا العجل فغُفرَ لهم كما حكى القرآن : (وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَبِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَسِرِينَ)[٥] .. وكذلك حَكَى عن « يونُسَ » قوله وهو فى بطن الحوت : (لَّآ إِلَهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّلِمِينَ) فقال تعالى : (فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ) [٦] ..

ومن الصيغ التى علمنا إياها الرسول (ﷺ) : (**اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا**

---

[١] رواه البخارى ، كتاب الدعوات .   [٢] ليغان : المراد هنا ما يتغشى القلب من الغفلة عن ذكر الله .
[٣] رواه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء .   [٤] سورة الأعراف آية ٢٣ .   [٥] سورة الأعراف آية ١٤٩ .
[٦] سورة الأنبياء الآيتان ٨٧ ، ٨٨ .

كَثِيرًا ، وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (1) .. ويستحب قول هذه الصيغة بعد قراءة التشهد الأخير ..

كما يستحب قول : (أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ) .. ثلاثًا قبل النوم ، لقول النبى (ﷺ) : (**مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ – ثَلاثَ مَرَّاتٍ – غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ** (2) **، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ وَرَقِ الشَّجَرِ ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ أَيَّامِ الدُّنْيَا**) (3) ..

[يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِى وَرَجَوْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ] : وهو خطاب عام لكل بنى آدم ، وهذا مصداق قوله تعالى : (إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا) (4) فالدعاء مطلوب ، وهو مخ العبادة ، وإذا لم يدع العبد ربه غضب عليه ، وأوْكَلَهُ إلى نفسه ..

[وَلَوْ أَتَيْتَنِى بِمِلْءِ الأَرْضِ خَطَايَا] : وبطبيعة الحال لا يمكن أن يأتى بملء الأرض خطايا ، لأن عمره لن يسمح له بـــهذا – مهما بلغ من العتو والإجرام – ومع ذلك لو أن عبدًا ملأت خطاياه الأرض جميعًا لجاءه الله إن شاء بِمِلْءِ الأَرْض مغفرة .. لماذا وكيف ؟! .. ذلك لأن الله سبحانه وتعالى لا تضره المعاصى .. ومادام هذا شأنه فله أن يغفر ما شاء لِمَنْ يشاء .. ولهذه المغفرة شرط هام : **[مَا لَمْ**

---

(1) رواه البخارى ، كتاب الأذان.

(2) زبد البحر : الرغوة تعلو الماء عند اضطرابه .

(3) رواه الترمذى ، كتاب الدعوات .

(4) سورة الزمر آية ٥٣ .

تُشْرِكْ بِى شَيْئًا] وهذا هو الأساس لأن الخطاب خاص بكل مَنْ شهد أن لا إله إلا الله من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة .. وهكذا فالخطاب لأهل التوحيد ، فى كل مكان ، وكل زمان ، فشرط المغفرة عدم الشرك : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1] .. ويقول الله تبارك وتعالى : ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2].. ومن الآيات التى تزيد الرجاء فى قلوبنا قوله تعالى : ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[3] فهذه آية لا تترك للمرء فرصة أن ييأس من رحمة الله أبدًا .. فاليأس من رحمة الله كفر .. وأعظم الذنوب على الإطلاق أن يستعظم العبد ذنبه على الله فيعتقد أن الله لا يمكن أن يغفره ..

[**ولو بَلَغَتْ خطَايَاكَ عَنَانَ السَّمَاءِ**] : أى حتى لو تراكم بعضها فوق بعض ليس فقط بملء الأرض أفقيًا ، وإنما ارتفعت رأسيًا حتى بلغت عنان السماء – وبُعْدُ السماء عن الأرض فوق الخيال والحساب — فحتى لو ارتفعت الخطايا بعد أن ملأت الأرض فبلغت عنان السماء ، فإنـــها كلها تُمْحَى بكلمة : (أَسْتَغْفِرُ الله) .. فالنبى ﷺ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ – عَزَّ وَجَلَّ – يقول : (**أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا ، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ .. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ : أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي .. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا ، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ .. ثُمَّ عَادَ**

[1] سورة النساء آية ٤٨ . [2] سورة الزمر آية ٥٣ . [3] سورة النساء آية ١١٠ .

فَأَذْنَبَ فَقَالَ : أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي .. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ .. اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ)[1] ..

ويُحدث رسول الله (ﷺ) صحابته فيقول : (**أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِه ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ فَقَالَ : إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ، ثُمَّ اسْحَقُونِي ، ثُمَّ اذْرُونِي**[2] **فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبُنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا .. قَالَ : فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ .. فَقَالَ لِلأَرْضِ : أَدِّي مَا أَخَذْتِ .. فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ .. فَقَالَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ فَقَالَ : خَشْيَتُكَ يَا رَبِّ – أَوْ قَالَ : مَخَافَتُكَ – فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ)**[3] ..

فالأمل فى الله تبارك وتعالى لابد أن يكون موجودًا .. وبغير الأمل فى الله ، نموت كَمَدًا وحسرة من شدة الخوف ، فلو حاسَبَنا الله بالعدل هلكنا ، وإذا حاسَبَنا بالرحمة نجونا .. وبما أننا لا ننجو إلا بالرحمة ، فلا أمل إلا أن نطلبها آناء الليل وأطراف النهار ..

وفى الحديث الثانى :

[أَنَا أَكْرَمُ وَأَعْظَمُ عَفْوًا مِنْ أَنْ أَسْتُرَ عَلَى مُسْلِمٍ فى الدُّنْيَا ثُمَّ أَفْضَحهُ بَعْدَ أَنْ سَتَرْتهُ .. وَلاَ أَزَالُ أَغْفِرُ لِعَبْدِى مَا اسْتَغْفَرَنِى] .

فعلامة المغفرة والتوبة الستر .. فإذا سَتَرَكَ الله فى الدنيا ، فثق تمامًا أنه لن يفضحك فى الآخرة .. فسله الستر دائمًا .. وقد ورد فى دعاء القُنُوت : (لاَ

---

[1] رواه مسلم ، كتاب التوبة . [2] اذرونى : انثرونى ، وفرّقونى . [3] رواه مسلم ، كتاب التوبة .

تَفْضَحْنَا بَيْنَ خَلْقِكَ ولاَ بَيْنَ يَدَيْكَ .. ولا تُخْزِنَا يَومَ الْعَرْضِ عَلَيْك) ، وهذا يعنى أن الداعى يُقر بأنه عبد خَطَّاء ، يطلب من الله أن يستره ولا يفضحه .. ولكى يـــدوم الستر فى الدنيا فعلى العبد كلما أخطأ أن يستغفر .. إذ إن معنى الغفران أو المغفرة : ستر الذنوب ، فإذا قال العبد : (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى) دَخَلَ ضمن دعوتـــه : (اللَّهُـــمَّ اسْتُرْنِى) لأن الله إذا غفر للعبد ذنبًا ستره ، فإذا ستره عن عيون الناس ستره أيضا عن الْحَفَظَةِ والْكَتَبَةِ ثم محاه من الصحائف ، فإذا مُحِىَ الذنب من الصحائف وأصبح مكانه فارغًا مُلِئ بحسنات ، فلا تجد الملائكة أثرًا للمحو .. ويقول الله تبـــارك وتعـــالى : (فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ) [(١)] .. وكذلك يُنْسِى الله الجوارحَ مـــا ارتكب العبد من معاصٍ فلا تشهد عليه يوم القيامة ، ولا يشعر بالخزى وهو بـــين يدى الله ، فيقف مطمئنًا .. (لا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ ، وَلا يَحْزُنُونَ إِذَا حَـــزِنَ النَّاسُ) [(٢)] .. (فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ) [(٣)] فلا خوف مما هو آت ، ولا حزن على ما فات ..

أما الحديث الثالث : فيعطى الأمل والطمع فى رحمة الله ، فإذا نظر المســـلم فى المرآة ورأى شيب رأسه اطمأن إلى رحمة الله ..

[**وَعِزَّتِى ، وَوَحْدَانِيَّتِى**] وأى قسم عظيم هذا !! فهو العزيز الذى لا يُقهر ، ووحدانيته أمر جليل ، فقد وُجِدت الدنيا وقامت وكذلك الآخرة وبعثة الرسل من أجل هذه الكلمة فقط ..

---

(١) سورة الفرقان آية ٧٠ . (٢) رواه أبو داود ، كتاب البيوع . (٣) سورة البقرة آية ٣٨ .

[**وارْتِفَاع مَكَانِى**] : وهذا قَسَم لا يمكن أن يبلغ الإنسان بعقله إدراكَ معناه .. فالله تبارك وتعالى كان قبل المكان والزمان ، وهو الآن على ما عليه كان ، فإذا قال : [**وارْتِفَاع مَكَانِى**] فلا حدود هناك .. [**واحْتِيَاج خَلْقِى إِلَىَّ**] فما من خلجة من خلجات النَّفْس ، ولا حركة من حركات الجسد إلا ويــحتاج فيها العبد إلى الله ، لولاه ما فتح عينيه وأغمضهما .. بل هذا النَّفَسُ الذى يدخل الصدر ويخرج بلا إرادة من العبد ، ودقات القلب ، وكرات الدم بأنواعها ، والهرمونات ، والأنزيمـــات ، والدورة الدموية ، وعمل الأعضاء والأعصاب والعضلات .. كل هذا وغـــيره .. العبد فيه محتاجٌ إلى الله عز وجل .. وهناك الكثير مما لا يُحصى عددًا ولا ذكرًا يؤكد هذه الحقيقة ..

ثم يُقسم ربنا بشىء عظيم : [**واسْتِوَائِى عَلَى عَرْشِى**] وهو أمر لا نعلمه ، لأن الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، فهو استواء لا ينافى وصف الكبرياء ، استواءٌ مُنَزَّه عن المماسّة والاستقرار .. استواء لا يعلمه إلا الله ..

[**إِنِّى لأَسْتَحْيِى مِنْ عَبْدِى وأَمَتِى : يَشِيبَانِ فِى الإِسْلاَمِ ثُمَّ أُعَذِّبُهُمَا**] : أفلا يجب المرء أن يشيب فى الإسلام ؟! وإذا شاب أفلا يكون فخورًا بشيبه ؟! وهناك بين السطور أمر !! ألا وَهُوَ : أنه إذا كان ربُّك وسيّدك ومولاك يستحيى أن يعذبك – وقد شبتَ فى الإسلام – أفلا تستحيى أنت – أيها العبد الشائب – أن تعصىَ هذا الرب وتكون معيبًا ؟!.. فدع عنك المعاصى والخطايا والرعونة فهى أمور لا تليق بك ، وعليك بالطاعة واللجوء إلى الله حتى يُحِبَّكَ .. وتذكر أنك كثيرًا ما أحببت ، وكل

حُبٍّ له نــهاية ، وحُبُّ الله لا نــهاية له .. وكل حبيب يخطئ مــرة ويصــيب أخرى ، وربنا لا يخطئ معك أبدًا .. وكل حبيب لابد أن يتحول عنك إلى آخر ، أما الله فإذا أحبَّك فلن يشغله عنك سواك ، لأنه لا يشغله أحد عن أحد ، ولا يشغله شأن عن شأن .. ومهما أحببت فالحبّ فيه الغرض ، وحُبُّ الله مُنَزَّهٌ عن الغَرَضِ ، لأنك لا تنفع ولا تضر ، فمهما أحببت وارتفع حُبُّك وسَمَا وعظم فالحبيب الــذى تُحِبُّه لن يصل حُبُّه إلى حُبِّك ، وإذا وصل فلن يتعدى حُبَّكَ ، وإذا تعدى حُبَّكَ فلن يتعدى الطاقة ، فطاقته فى الْحُبِّ محدودة ، أما الله سبحانه وتعالى فهو غير مُتنــاهٍ ، وبالتالى فحُبُّه لا يتناهى ، فإذا كان الحبُّ لا نــهاية له ، فكيف شأنه ، وكيــف يكون ؟! .. وحبيبك إذا ذكرته ذكرك ، وإذا نسيته نسيك .. أما الله سبحانه وتعالى فإذا ذكرته ذكرك ، وإذا نسيته ذكرك أيضًا بنص الحديث : (**يَــا ابْــنَ آدَمَ ، إِنْ ذَكَرْتَنِى ذَكَرْتُكَ ، وَإِنْ نَسِيتَنِى ذَكَرْتُكَ**) [1] فأين تجد حبيبا مثله ؟! .. وحُــبُّ الله أمر يسير جدًا ، وحُبُّ الناس أمر صعب المنال ، فلكى تجعل شخصًا ما يُحبُّك ، فهذا أمر صعب ، لأنه يمتحنك ويختبرك ويحاسبك على الصغيرة والكبيرة ، وإذا أحسنت إليه طول العمر ثم أخطأت معه مرة واحدة ، عيرَّكَ بــها وذكرك إياها ، حتى الزوجة وهى أقرب الناس إليك ، فمع العشرة والْحُبِّ وما بينك وبينها من رباط مُقَدَّس ، تحسن إليها الدهر كله ، فإذا أسأت إليها مرة قالت : (**مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ !!**) [2] ..

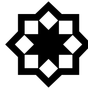
هكذا أخبرنا رسول الله (ﷺ) !! ولكن الله سبحانه وتعالى يذكر لك الطيب ،

---

[1] رواه أبو نصر ربيعة بن علي العجلي في كتاب هدم الاعتزال ، والرافعي عن ابن عباس (رضى الله عنهما) .
[2] رواه البخارى ، كتاب الإيمان .

ويمحو عنك الخطايا ، وحُبُّه لك أكبر من أن يُوصف ، وأعظم من أن يعبر عنه لسان ، ومهما تحدثنا عنه فلن نبلغ إيضاح مقداره .. ومن ذاق عرف ، ومن حُرم انحرف ..

اللَّهُمَّ إِنَّا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ظُلْمًا كَثِيرًا ..
وإن لم تَغْفِرْ لنا وتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ..
اللَّهُمْ ارْزُقْنَا حُبَّكَ .. وحُبَّ مَنْ يُحبُّكَ ..
وحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنَا إِلَى حُبِّكَ .



كَانَ رَجُلان فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنبُ ، وَالآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ ، فَكَانَ لا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ : أَقْصِرْ .. فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ : أَقْصِرْ ، فَقَالَ : خَلِّنِي وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا ؟! .. فَقَالَ : وَاللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ – أَوْ : لا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ – فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ .. فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ :

٢١ (أَكُنْتَ بِي عَالِمًا ، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا ؟! .. وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ : اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي .. وَقَالَ لِلآخَرِ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ) ..

[رَوَاهُ أَحْمَدُ وأبو دَاوُد عن أَبِى هُرَيْرة (رضي الله عنه)]

شرح الحديث :

الحديث يلفت النظر إلى ما يقع فيه الكثير من الناس ، فهو يحكى عن رجلين فى بنى إسرائيل متواخيين .. ومتواخيان أصلها « متآخيان » أى : متصادقان ، كان أحدهما مذنبًا عاصيًا ، وكان الآخر مجتهدًا فى العبادة .. وكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول : أقصر ، أى : امتنع .. فرآه يومًا على ذنب فقال له – كالمعتاد – : أقصر ، فضجر الآخر منه ، ومن إلحاحه عليه ، فقال : [**خَلِّنِي وَرَبِّي**] : أى خلِّ بينى وبين نصحك ، واتركنى لربى لعله يريد بى أمرًا ، فحسابى على الله ، أَبُعِثْتَ

علىَّ رقيبا ؟! .. أكنت محاسبًا لى من دون الله فتسألنى : لِمَ فعلت ، ولِمَ لا تفعل ؟! .. فلم يقتنع صديقه بهذا وقال : [**وَاللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ**] فتألَّى بهذا على الله ، وأصدر قراره بأن الله لن يغفر لأخيه أبدًا ، أو بأنه لن يدخله الجنة ..

ولما انتهت حياتُهما وماتا ، اجتمعا عند رب العالمين فقال الله للمجتهد الواعظ : [**أَكُنْتَ بِي عَالِمًا**] تعرف مَا سَأفْعَلُ ، أسأغفر أم أعذب ؟! .. [**أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا** ؟!] أى : حين قلت ما قلت ، أكنت تعلم الغيب ؟! أم كنت تملك خزائن ومفاتيح الرحمة تفتح لمن تشاء ، وتغلق فى وجه من تشاء ؟! .. فأخلف الله ظنه ، وقال للمذنب : [**اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي**] ، وقال للآخر المجتهد فى العبادة : [**اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ**] ..

ما سبق هو شرح معانى الحديث ، إلا أن هناك أمورًا هامة نستخلصها من الحديث وهى :

أولا : أن العبرة بالخواتيم ، لأن الإنسان لا يدرى ما سبق به الكتاب ، فعليه ألاَّ يطمئن لعمله أبدًا ، لأنه لا يعلم كيف يختم له وعلى أى حال يموت ..

ثانيا : أن المجتهد فى العبادة إذا وعظ فلابد أن يدعو للمعروف وينهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولا يتألَّى على الله ، ولا يتحكم فى الخلائق كيف يشاء فيكفِّر هذا ، ويحكم على ذاك بالفسوق ، فالأمر كله لله .. وإذا كان سيّد الخلق (ﷺ) قال له الله : (لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ) [1] .. (وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ) [2] ..

---

[1] سورة الغاشية آية ٢٢ .
[2] سورة الأنعام آية ١٠٤ .

(وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ)[1] .. (وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖ)[2] .. (وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ)[3] .. (أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ)[4] .. (وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ)[5] ..

فمن الأوْلَى – وهذا حال رسول الله (ﷺ) – أن لا يفضح أصحاب الطاعات غيرهم إذا رأوهم على معصية .. فإذا نصحتَ فليكن ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة : فإذا استجاب العاصى كان خيرًا ، وإن لم يفعل فلتدع له بالهداية وصلاح الحال .. وبدلاً من أن تُيئِّسَه من رحمة الله ، عليك أن تفتح له أبواب الأمل ..

ثالثا : يتضح من الحديث أيضًا أن العبد – مهما كانت ذنوبه – إن تاب – ولو قبل موته بلحظات ، أو قبل أن تصل الروح إلى حلقه ويغرغر – قُبِلَت توبته !! فمن أين لهذا المتألِّى على الله أن يحلف بأنه لن يُغْفر لأخيه ؟! فعليك بالنصح ، فمن أطاع فخير ، ومن لم يفعل فلا حكم ولا سلطان لك عليه ، فالرسول (ﷺ) وهو الْمُكَلَّف بالرسالة يقول الله تعالى له : (إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ)[6] ..

ونذكر فى هذا المجال حديث رسول الله (ﷺ) الذى يقول فيه : (**كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ ، فَأَتَاهُ ، فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : لا ، فَقَتَلَهُ ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً .. ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ**

---

(1) سورة الأنعام آية ١٠٧ . (2) سورة ق آية ٤٥ . (3) سورة هود آية ١١٨ .
(4) سورة يونس آية ٩٩ . (5) سورة يونس آية ١٠٠ . (6) سورة فاطر آية ٢٣ .

عَالِمٍ ، فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَة ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ !! انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ ، فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ ، وَلا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ .. فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَة ، وَمَلائِكَةُ الْعَذَاب .. فَقَالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَة : جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّه .. وَقَالَتْ مَلائِكَةُ الْعَذَاب : إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ .. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ [1] ، فَقَالَ : قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ .. فَقَاسُوهُ ، فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحْمَة)[2] .. وفى رواية أخرى : (فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَة ، وَمَلائِكَةُ الْعَذَاب .. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي ، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي ، وَقَالَ : قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا ، فَوُجِدَ إِلَى هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ ، فَغُفِرَ لَهُ) [3] ..

وهناك حكاية يرويها الشيوخ عن أخوين أحدهما عابد أمضى عمره كله فى العبادة فى صومعته بأعلى الجبل ، والآخر أمضى عمره كله فى المعصية .. فهذا فى الجبل يعبد ربه فى صومعته مدة ستين سنة ، وذاك فى البلدة يعصى ربه ستين سنة .. وفى يوم من الأيام ، حَدَّثت الذى فى الجبل نَفْسُه بأنه قضى ستين عامًا فى عبادة الله ، فَلِمَ لا يهبط وينظر ما يفعل الناس ويفعل مثل أخيه ؟! فهذا أخوه يعصى

---

[1] أى فجعلوه حَكَمًا بينهم . [2] رواه مسلم ، كتاب التوبة .

[3] رواه البخارى ، كتاب أحاديث الأنبياء .

وما أصابه شىء .. فنـــزل .. وفى اللحظة نفسها حَدَّثت الآخر نَفْسُه ، أنه قد مضى عليه ستون عامًا فى المعصية ، وقد مَرَّ من العمر الكثير ، فلماذا لا يطيع الله مثل أخيه الذى أطاع الله ستين عامًا لم يفعل فيها سُوءًا ، لِمَ لا يصعد إلى الجبل ويجرب الطاعة ولو يومًا واحدًا ؟! .. فصعد .. وبينما هذا صاعد وذاك هابط ، وقبل أن يصل كل منهما إلى هدفه مات .. فالراهب الذى عبد الله ستين عامًا دخل النار ، والعاصى الذى عصى الله ستين عامًا دخل الجنة لأن العبرة بخواتيم الأعمال ، والأعمال بالنيات ..

وهذه القصة أيضا يتضح منها أن الإنسان لا يعلم ما فى الغد لا بالنسبة إليه ولا بالنسبة إلى غيره ..

وقد مات « عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ » وهو من أوائل السابقين المهاجرين عند رجل من الأنصار كان قد استضافه فذهب إليه رسول الله (ﷺ) ، وعندما دخل عليه سمع زوجة المضيف تقول : **رَحْمَةُ اللَّه عَلَيْكَ أَبَا السَّائِب ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ .. فَقَالَ النَّبِيُّ** (ﷺ) : **وَمَا يُدْرِيك أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ ؟! فَقالت : بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّه ، فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ ؟! فَقَالَ : أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ ، وَاللَّه إِنِّي لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ ، وَاللَّه مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّه مَا يُفْعَلُ بِي !! قَالَتْ : فَوَاللَّه لا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا** [1] .. لذا قال النبى (ﷺ) : (**مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ : أَحْسِبُ فُلانًا ، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ** [2] ، **وَلا أُزَكِّي عَلَى اللَّه أَحَدًا ، أَحْسِبُهُ كَذَا**

---

[1] رواه البخارى ، كتاب الجنائز .

[2] حسيبه : عليم بحاله .

وَكَذَا .. إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ)[1] .. وربنا تبارك وتعالى يقول : (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً)[2] .. وقال عن أهل الكتاب -منكرًا عليهم مقولتهم - : (وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ)[3] ..

فإذا كنت على درجة من الصلاح أو التقوى أو الطاعة فاعلم أن ذلك من فضل الله عليك ، وإذا رأيت الآخر على الذنب فاعلم أن الله تبارك وتعالى لم يشأ له التوبة بعد ، وقد يقبل منه التوبة بعد ذلك ، وقد يختم له بالإيمان وصالح الأعمال – فنحن لا ندرى ما كُتب لنا من الأزل ، ولكن علينا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد يتساءل الطائع : كيف يستوى هو والعاصى ؟! .. فليعلم أن العاصى الذى يتوب الله عليه إذا دخل الجنة فهو لابد فى منـــزلة أدنى من منـــزلة ذلك الذى نشأ فى طاعة الله : فهذا فى سبعة يظلهم الله فى ظِلِّه يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ ، ويبعثه الله آمنًا .. أما هذا الذى تاب الله عليه فقد يُبعث خائفًا ، فبينهما فرق ، ولكن كلاهما يدخل الجنة ، فقد ورد عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قوله : **(تَجُوزُون الصِّرَاطَ بِعَفْوِ الله ، وتَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ الله ، وتَقْتَسِمُونَ الْمَنَازِلَ بِأَعْمَالِكُم)** [4] فالتفاضل فى درجات الجنة يكون بحسب الأعمال .. فلا نُزَكِّ أنفسنا

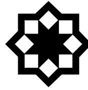
---

[1] رواه البخارى ، كتاب الشهادات .   [2] سورة النساء آية ٤٩ .   [3] سورة المائدة آية ١٨ .

[4] كتاب الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للإمام جلال الدين السيوطى .

أبدًا ولا نتألَّ على الله ولنتذكر قوله : (كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ)[1] .. و« بلقيس » كانت كافرة هى وقومها ، وعنها يقول « الْهُدْهُد » كما حكى القرآن : (وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ)[2] .. أى إنــــهم كفروا وعموا عن الحق .. ومع ذلك أسلمت وقالت : (إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)[3] كذلك « خالد بن الوليد » فقد كان قائد المشركين فى غزوة أُحُد وكان سببًا فى هزيمة المسلمين ، ومع ذلك أسلم وأصبح سيف الله المسلول .. فلا يعلم أحد ما فى الغد ..

فعلينا أن نَسْأَلَ الله تبارك وتعالى حُسْنَ الْختَام ..
ولا نَعْتَرِضَ عَلَى أَحَدٍ .. ونَدَعَ الْخَلْقَ للْخَالِق ..
فَلا نُكَلِّفَهُمْ ما لا يُطِيقُونَ ..
ولا نُحَاسِبَهُم دُونَ رَبِّهِمْ ..



[1] سورة النساء آية ٩٤ . [2] سورة النمل آية ٢٤ . [3] سورة النمل آية ٤٤ .

ذِكر اللّه

٢٢ (**يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَة : أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ : مَنْ ذَكَرَنِي يَوْمًا ، أَوْ خَافَنِي فِي مَقَامٍ**) ..

[رَوَاهُ التِّرْمِذِىُّ عن أَنَسٍ (رضي الله عنه)]

وهناك أحاديث قدسية أخرى فى الذِّكْر ، منها :

٢٣ (**مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي .. وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ أَكْثَرَ مِنْهُ وَأَطْيَبَ**) ..

[رَوَاهُ ابن شَاهِين عن أبى هُرَيْرة (رضي الله عنه)]

٢٤ (**مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي ، أَعْطَيْتُهُ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَنِي**) ..

[رَوَاهُ أبو نُعَيم ، والدَّيْلَمِيُّ عن حُذَيْفَة (رضي الله عنه)]

٢٥ (**مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي ، أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أَعْطَيْتُ السَّائِلِينَ**) ..

[رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ ، والبزَّارُ ، والْبَيْهَقِىُّ عن ابن عُمَر (رضى اللّٰه عنهما)]

٢٦ (**مَنْ شَغَلَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ عَنْ دُعَائِي ومَسْأَلَتِي ، أَعْطَيْتُهُ ثَوَابَ الشَّاكِرِينَ**) ..

[رَوَاهُ ابن حُذَيْفَةَ شَاهِين عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىّ (رضي الله عنه)]

شرح الأحاديث :

[أَخْرِجُوا منَ النَّارِ : مَنْ ذَكَرَنِي يَوْمًا ، أَوْ خَافَنِي فِي مَقَامٍ] : عَنْ عَبْد اللَّه بْن بُسْرٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَجُلاً قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّه ، إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ به !! قَالَ : (**لا يَزَالُ لسَانُكَ رَطْبًا منْ ذكْرِ اللَّه**)[1] .. ويقول (ﷺ) : (**مَا عَمِلَ آدميٌّ عَمَلاً أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ الله تَعَالَى مِنْ ذِكْرِ اللَّه تَعَالَى .. قيل : ولا الْجِهَاد فى سَبِيلِ الله ؟ قال : ولا الْجِهَادُ ، إلا أن يَضْرِبَ بسَيْفه حَتَّى يَنْقَطِعَ**)[2] .. ويقول (ﷺ) : (**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالكُمْ ، وَأَزْكَاهَا عنْدَ مَليككُمْ ، وَأَرْفَعهَا فِي دَرَجَاتكُمْ ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاق الذَّهَبِ وَالْوَرِق ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟! قَالُوا : بَلَى .. قَالَ : ذِكْرُ اللَّه تَعَالَى**)[3] .. ويقول (ﷺ) : (**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَة مَنْ قَالَ : لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ خَالصًا منْ قَلْبِه أَوْ نَفْسه**)[4] ..

والآيات فى كتاب الله عن ذكره تعالى كثيرة ، منها : (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾)[5] ..

وذكر الله تبارك وتعالى يكون بالقلب ، ويكون أيضًا باللسان ، فهناك مَنْ يذكر الله بقلبه ، وهناك مَنْ يذكر الله تبارك وتعالى على كل أحواله ..

---

(1) رواه الترمذى ، كتاب الدعوات .
(2) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير .
(3) رواه الترمذى ، كتاب الدعوات .
(4) رواه البخارى ، كتاب العلم .
(5) سورة فاطر الآيتان ٢٩ ، ٣٠ .

وقالت السيدة عائشة (رضى الله عنها) : (**كَانَ النَّبيُّ (ﷺ) يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِه**)[1] .. وربنا تبارك وتعالى يقول : (فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ)[2] ..

وإذا تتبعنا نصائح رسول الله (ﷺ) وجدنا أن العبد لو عمل بـــها لظل يذكر الله فى كل وقت وحين حتى وإن كان جُنُبًا .. والْجُنُبُ يُمْنَع من قراءة القرآن ، ومس المصحف ، ولا يُمنع من قول : لا إله إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وحسبى الله ونعم الوكيل ، وما إلى ذلك من الأذكار ..

فإذا استيقظ العبد من نومه فليقل كما علمنا النبى (ﷺ) : (**أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ للَّه ، اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نعْمَة أو بأحد مِنْ خَلْقكَ فَمنْكَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ**) .. وإذا أمسى العبد من لَيْله فليقل : (**أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ للَّه ، اللَّهُمَّ مَا أَمْسَى بِى مِنْ نعْمَة أو بأحد مِنْ خَلْقكَ فَمنْكَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ**)[3] .. وإذا جَلَس لطعامه فليقل : (**بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**) ، وإذا انتهى فليقل : (**الْحَمْدُ للَّه الَّذي أَطْعَمَنَا ، وَسَقَانَا ، وَجَعَلَنَا مُسْلمِينَ**)[4] ، (**الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيه مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلا قُوَّةٍ**)[5] ..

وإذا نعم العبد بالدفء فليقل : (**الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا ، فَكَمْ مِمَّنْ لا كَافِيَ لَهُ وَلا مُؤْوِيَ**)[6] ..

---

[1] رواه البخارى ، كتاب الأذان . [2] سورة النساء آية ١٠٣ . [3] رواه مسلم وأبو داود .
[4] رواه ابن ماجه ، كتاب الأطعمة . [5] رواه الترمذى ، كتاب الدعوات . [6] رواه مسلم ، كتاب الذكر .

وإذا لبس جديدًا فليقل : (**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ**)[١] ..

وإذا ركب العبد فليقل : (**الْحَمْدُ لِلَّهِ ، سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ**)[٢] ..

وإذا أراد أن يجامع زوجته فليقل : (**بِاسْمِ اللَّهِ ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا**)[٣] .. فإذا نام فليقل : (**بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا ، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ**)[٤] ، (**اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**)[٥] ..

وإذا قام من مجلسٍ قال : (**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**)[٦] ..

وإذا دخل مكانًا أو خرج من مكان قال : (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلَجِ ، وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ ، بِسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا ، وَبِسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا ، وَعَلَى اللَّهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا**)[٧] ..

وإذا خرج من بيته قال : (**بِسْمِ اللَّهِ ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ**) فيُقَالُ لَهُ : كُفِيتَ ، وَوُقِيتَ ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ[٨].. وقال : (**اللَّهُمَّ**

---

[١] رواه الترمذى كتاب اللباس . [٢] رواه الترمذى كتاب الدعوات . [٣] رواه البخارى كتاب النكاح .
[٤] رواه البخارى كتاب الدعوات . [٥] رواه البخارى كتاب الدعوات. [٦] رواه الترمذى كتاب الدعوات.
[٧] رواه أبو داود كتاب الأدب . [٨] رواه الترمذى كتاب الدعوات .

إِنِّى أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ)(١) ..

وفى الدخول لقضاء الحاجة يقول : (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِث**)(٢) ، فإذا خرج قال : (**الْحَمْدُ لله الَّذِى أَذْهَبَ عَنِّى مَا يُؤْذِينِى ، وأَمْسَكَ عَلَىَّ مَا يَنْفَعُنِى**)(٣) ..

كل هذا عَلَّمَنَا إياه رسول الله (ﷺ) ، فهو يذكر الله فى كل الأحوال : إذا أكل أو شرب .. نام أو أصبح .. قعد أو قام .. مشى أو ركب .. حتى فى الحرب كذلك .. وربنا تبارك وتعالى يقول فى شأن الحرب : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(٤) .. والقتال على عهد الرسول (ﷺ) كان بالسيف والالتحام وجهًا لوجه ، فتطير الرقاب ، وتقطع الأعضاء ، وتسيل الدماء .. فإذا غفل المقاتل لحظة فقد حياته .. وعلى رغم هذا يأمرنا ربنا تبارك وتعالى بالذكر فى حال القتال .. فذكر الله سبحانه وتعالى يأتى بالنصر فى المعارك ..

والذكر أنواع : منها ما ذكرنا سالفًا ، وهو الوارد عن رسول الله (ﷺ) فى كل أحواله ، وهناك نوع آخر من الذكر ، وهو ذكر القلب ، وهو لأُناس معينين ألا وهم المتفكرون ، فهؤلاء إذا رأى أحدهم شيئًا ترجم هذه الرؤية إلى شىء فى قلبه ، وفيهم يقول الله سبحانه وتعالى : (وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ)(٥) .. فإذا رأى أحدهم شخصًا

(١) رواه أبو داود ، كتاب الأدب . (٢) رواه البخارى ، كتاب الوضوء . (٣) رواه ابن أبى شيبة كتاب الدعاء .
(٤) سورة الأنفال آية ٤٥ . (٥) سورة آل عمران آية ١٩١ .

مريضًا أو به آفة أو عاهة ذَكَرَ ما أمر به رسول الله (ﷺ) فقال : (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاكَ بِهِ ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً**)[1] .. وذِكْر القلب يُشْعر المرء بفضل الله عليه ، حين يتفكر فى ابتلاء الله الأصِحَّاء بالمرضى ، والأغنياء بالفقراء ، وأصحاب الحرية الطلقاء بالمحبوسين .. وهكذا ..

وإذا رأى الليل والنهار ، والشمس والقمر ، وإذا رأى كيف يدبّر الله أمور كل الخلائق ، قال من قلبه : (سبحان مدبّر الأكوان !) .. فهذا الطائر الصغير يحمل فى فِيه قَشَّةً ليبنى عُشًّا له ، فمَنْ علَّمه بناء هذا العُشِّ ؟! ومَنْ علَّمه عدد القش اللازم لبنائه ؟! ..

وهذا الْهُدْهُدُ ، ينقر الأرض بمنقاره فلا يخرجه إلا وقد أمسك بدودة من دود الأرض فيطير بــها إلى أفراخه ليطعمهم ، ثم يعيد الكَرَّة ولا يخطىء ، وكأنما هو يرى ما فى باطن الأرض ..

ولو ترى الْهِرَّةَ إذا وَلَدت ، كيف تقوم بنفسها بما تتطَلَّبُه الوِلادة ، فتلعق أولادها لتنظّفهم .. ولو تراها وهى تعلّم صغيرها صعود السلّم فتصعد درجة وتترك الصغير يصرخ فلا تجيبه حتى يحاول الصعود ، فيقع ثم يحاول مرات حتى ينجح ..

وإذا رأيت العُصْفُورَة وهى تعلّم فرخها كيف يطير ، تجدها تحمل صغيرها إلى مكان ليس بفضاء بل به جدران وأشجار ، فتتركه على الأرض ، فيصرخ ولا تجيبه إلا بصوت معناه : أقبل ، فيقفز الفرخ قفزة صغيرة ينتقل بــها إلى مكان الأم ، فتبعد عنه قليلاً ، ويتكرر الموقف حتى يتعلم الفرخ الطيران .. أمور غاية فى الغرابة فلا

---

[1] رواه الترمذى ، كتاب الدعوات .

تتركها تَمُرُّ دون تأمل ..

ولو ترى أمواج البحر تتوالى على الشاطئ وتعود .. هذه الحركة لا تنتهى .. أتراها حركة عبثية أم إنـــها بحساب ؟! .. المدّ والجزر يحدثان ، فلو تفكرت فى أمر قطرة ماء ، بقيت من الموج على الرمل ، والباقى رجع مع ما رجع من الماء .. هذه القطرة لو تفكرت فى أصلها ، وكيف وصلت ، ومن أيّ البقاع أتت ، لعجبت !! ..

وإذا وضع الطعام أمامك ، فقد تمدّ يدك إلى قطعة منه فلا تأخذُها ، بل تأخذ أخرى .. لماذا ؟! لأن هذه لك .. أمَّا تلك فليست لك .. فما من طعام فى الأرض أو رزق إلا وكُتِب على كل حبة وكل ورقة منه اسمُ آكلها .. وأحيانًا تأكل فى إناء واحد مع شخص ما فتنظر إلى بعض الطعام وتمد يدك لتأخذه فيسبقك هو إليه ، نعم لم يكن مكتوبًا لك .. لابد أن تتفكر فى هذه الأمور ..

أنت ترتدى القميص فهلا تفكرت كيف جاءك وآل إليك ؟! وكم يدًا عملت فيه حتى تلبسه ! .. فهناك مَنْ زرع ، ومَنْ روى ، ومَنْ حصد ، ومَنْ جمع ، ومَنْ باع ، ومَن اشترى ، ومَنْ حلج !! .. وهناك المصنع الذى غزل هذه الخيوط ، ثم ذاك الذى نسج قماشه ، ثم هناك الذى باع مرة أخرى ، ثم تنقل القماش من يد إلى يد حتى وصل إلى يد مَنْ قَصَّه ، ثم مَنْ حاكه .. فإذا ذهبت إلى المتجر وفيه مئات القمصان وقلتَ للبائع : ناولني هذا القميص .. فهل تراك أنت الذى اخترته ؟ أم إنه حيث زرع كان مزروعًا من أجلك ، وكُتب عليه اسمك ؟! .. فلا تجعل هذه الأمور تفوتك ..

فإن كان قلبك مع الله بصفة مستمرة قُلتَ فى نفسك : (مَشَيْنَاهَا خُطىً كُتِبَتْ عَلَيْنَا .. ومَنْ كُتِبَتْ عَلَيه خُطًى مَشَاهَا) فحتى الخطوات مكتوبة لك محسوبة عليك ..

ويبقى لكل من يسمع أو يرى أو يقرأ هذه الأمور قول الرسول (ﷺ) : (**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّه أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَات ، فَيُكْتَبُ : عَمَلُهُ ، وَأَجَلُهُ ، وَرِزْقُهُ ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ .. ثُمَّ يُنْفَخُ فِيه الرُّوحُ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْه الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّة ، فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّة حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، فَيَدْخُلُ النَّارَ**)[1] .. « الأجل » و« الرزق » يدخل فيهما كل أمر دنيوى : من مسكن ، وملبس ، ومأكل ، ومال ، وكل عطاء دنيوى .. أما الثالث فهو « أثره » وهو يعنى كل نَفَس يتنفسه ، وكل خطوة يخطوها .. ألا يحدث لأحدنا أن يحيد عن قصده فى سيره ؟! .. ألا يحدث أن تمر فى طريق إلى غاية لك ثم تؤثر السير فى غيره ؟! .. ألا يحدث أن تركب سيارة أجرة فتطلب من السائق الذهاب إلى مكان ما ، فيكون معه راكب آخر سيذهب به إلى مكان آخر فتوافق ، فتجد نفسك فى منطقة لم تكن تفكر فيها و لم تقصدها ؟! .. أما الأمر الرابع : أى « أشقىّ هو أم سعيد » فهو أمر الآخرة الذى لا يعلمه إلا الله : (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ)[2] .. (وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا)[3] ..

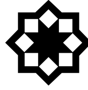
فماذا بقى للإنسان بعد هذه الأربعة ؟! لم يبق إلا النية الصالحة ، وذكر الله عز

---

[1] رواه البخارى ، كتاب أحاديث الأنبياء . [2] سورة هود آية ١٠٦ . [3] سورة هود آية ١٠٨ .

وجل واللجوء إليه فى كل وقت وحين .. وصدق الله العظيم إذ يقول : (أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)[1] ..

اللهمَّ لا تُؤَمِّنّا مَكْرَكَ .. ولا تُولِّنَا غَيْرَك ..
ولا تَرْفَعْ عَنَّا سَتْرَكَ .. ولا تُنْسِنَا ذِكْرَك ..
ولاَ تَجْعَلْنَا مِن الغَافِلِين ..



[1] سورة الأعراف آية ٥٤ .

الظن بالله

٢٧ **(أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ) ..**

[رَوَاهُ أحْمَد والْحَاكِمُ عن وَاثلة (رضي الله عنه) ، وابن أبي الدُّنيا عن أبي هُرَيْرَة (رضي الله عنه)]

٢٨ **(أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي) ..**

[رَوَاهُ أحْمَد عن أبي هُرَيْرَة (رضي الله عنه)]

٢٩ **(أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي : فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي .. وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُ) ..**

[رَوَاهُ البيهقي عن أبي هُرَيْرَة (رضي الله عنه)]

٣٠ **(أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي : إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ) ..**

[رَوَاهُ أحمد ومسلم والطبراني وابن النَّجَّار عن أبي هُرَيْرَة (رضي الله عنه)]

٣١ **(أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي) ..**

[رَوَاهُ الْبُخَارِيّ عن أبي هُرَيْرَة (رضي الله عنه)]

٣٢ **(أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي : إِنْ ظَنَّ خَيْرًا فَخَيْرٌ ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَشَرٌّ) ..**

[رَوَاهُ الطبرانِيُّ وابن حِبَّان عن واثلة بن الأسْقَعِ (رضي الله عنه)]

وقال الرســـول (ﷺ) : (**لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**) .. [رَوَاهُ مسلم عن جابر بن عبد الله (رضى الله عنهما)]

شرح الأحاديث :

الظن له أربعة معانٍ فى القرآن :

(١) اليقين . (٢) الشك . (٣) الاعتقاد . (٤) الاتِّهام .

اليقين : (إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ) [١] ..

الشَّكُّ : (إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ) [٢] ..

الاعتقاد : (وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ) [٣] ..

الاتِّهَام : (وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠) [٤] ..

[**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ**] : هذا حديث جامع فالله تبارك وتعالى يقول : سوف أكون للعبد كما اعتقد بى ، أو ظن بى .. فعندما تتقرب إلى الله بالعبادة يُدَاخلك الشكُّ فى قبولها ، فإذا كنت متيقنًا بقـــول الله : (وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) [٥] حظيت بـــالقبول .. وإذا دعوت الله موقنًا بالإجابة استجاب الله لك ، وإن ظننت أن الله لا يستجيب فلـــن يستجيب لك .. يقول الرسول (ﷺ) (**إِذَا دَعَوْتُمُ اللَّهَ فَاعْزِمُوا فِي الـــدُّعَاءِ ، وَلا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي .. فَإِنَّ اللَّهَ لا مُسْتَكْرِهَ لَـــهُ**) [٦] .. وشـــرح

---

[١] سورة الحاقَّة آية ٢٠ . [٢] سورة الجاثِيَة آية ٣٢ . [٣] سورة فُصِّلَتْ آية ٢٢ .
[٤] سورة الأحزاب آية ١٠ . [٥] سورة البقَرة آية ١٤٣ . [٦] رواه البخارى ، كتاب التوحيد .

حديث رسول الله (ﷺ) : [**لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**] : أى إذا حضر الإنسانَ الموتُ فليحسن الظن بالله ، لأن مَنْ أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومَنْ كره لقاء الله كره الله لقاءه .. فكيف نموت ونحن نحسن الظن بالله ، وكلنا يكره الموت ويخافه ؟! ..

يتطلب الأمر معرفة الله .. فربنا لا يجب عليه شيء ، وليس فوقه أحد ، وهو يخلق ما يشاء ويختار ، وله أن يفعل ما يشاء .. فالله يبسط الرزق لمن يشاءُ ويقدر ، فإذا كان الأمر كذلك ، فلا تكن فى قلق حتى لا يتركك الله قلقًا ، وكن على يقين بأن الله لا يَعْظُمُ عليه شيء ، فثق وتيقن : بأن الاستغفار يمحو الذنوب ، لأن الله صادق الوعد ولا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية .. وبأن الله أعد لعباده الصالحين ما لا عَيْن رأت ، ولا أُذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ..

والموت يجعل الإنسان على وجل ، وقد يتسلط الخوف عليه ويجعله يهلك ، فالإنسان فى سعيه إلى الله له جناحان : جناح الخوف ، وجناح الرجاء : (وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا) [1] فلو زادت قوة جناح الخوف لاعْوَجَّ ووقع .. ولو رجا فقط لم يجتهد فى العبادة .. فالخوف الزائد يجعله يائسًا ، والرجاء الزائد يهلكه ، حيث يغفل عن ذنوبه ويطمئن لطاعته ..

وعليك ألا تخاف الموت فالانتقال من الدنيا إلى البرزخ لا يخيف ، فهو كالانتقال من رحم الأم إلى الدنيا ، الذى يخيف هو المعاصى والذنوب ..

فإن وقعنا فى معصية فلنسارع بالاستغفار متيقنين بأن الله غفور رحيم ..

[1] سورة الأعراف آية ٥٦ .

وللوصول إلى حسن الظن بالله علينا أن نعلم :

١- أن الله لا يجب عليه شيء .

٢- أن وعد الله صادق .

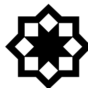
٣- أن الله يغفر الذنوب جميعًا غير الشّرْك .

٤- أن الحياة مستمرة ، وأنك فى مراحل تطور من أرجى إلى أرجى ، ومن أرقى إلى أرقى : فقد كُنت فى صلب أبيك ، فانتقلت إلى رحم أمك وهو أوسع .. ثم خرجت إلى الدنيا وهى أرحب .. ثم تنتقل إلى البرزخ ولا شك أنه أوسع وأعظم ، ثم إلى الآخرة .. ورحمة الله وسعت كل شىء ..

٥- أن من الواجب عَدَم الاتكال على حسن الظن بالله ، والعمل بالطاعة قدر الاستطاعة : فالإمام الحسن البصرى (رحمه الله) يقول : (لَيْسَ الإيمَانُ بِالتَّمَنِّى وَلا بِالتَّحَلِّى ، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِى الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ ، وإِنَّ قَوْمًا أَلْهَتْهُم أَمَانِىُّ الْمَغْفِرَة حتى خَرَجُوا من الدُّنْيَا ولا حَسَنَةَ لَهُمْ ، يقولون : نُحْسِنُ الظَّنَّ بِالله ، وكَذَبُوا ، فَلَوْ أَحْسَنُوا الظَّنَّ لأَحْسَنُوا الْعَمَلَ) ..

اللهمَّ ارْزُقْنَا حُسْنَ الظَّنِّ بِكَ ..

والعَمَلَ عَلَى مَرْضَاتِكَ ..



مَنْ خاف سلِم

٣٣ (مَا غَضبْتُ عَلَى أَحَد غَضَبِى عَلَى عَبْـد أَتَـى مَعْصِـيَةً فَتَعَاظَمَهَا فِى جَنْبِ عَفْوِى .. فَلَوْ كُنْتُ مُعَجِّلاً العُقُوبَةَ أَوْ كَانَت الْعَجَلَةُ مِنْ شَأْنِى لَعَجَّلْتُهَا لِلْقَانِطِينَ مِنْ رَحْمَتِى .. وَلَوْ لَمْ أَرْحَمْ عِبَادى إلاَّ مِنْ خَوْفِهِم مِنَ الْوُقُوف بَيْنَ يَدَىّ ، لَشَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُمْ ، وَجَعَلْتُ ثَـوَابَهُمْ مِنْه الأَمْنَ لِمَا خَافُوا) ..

[رَوَاهُ الرافِعىُّ عن ناجية بن مُحَمَّدِ بن المنتجع عن جَدِّه (رضي الله عنه)]

وحديث قدسى آخر :

٣٤ (وعِزَّتي لاَ أَجْمَعُ عَلَى عَبْدى خوْفَيْنِ ، وَلا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ : إِذَا أَمِنَنى فِى الدُّنْيا أَخفْتُهُ يوْمَ الْقِيَامَةِ ، وإِذَا خافَنى فِى الدُّنْيا أَمَّنْتُهُ يوْمَ الْقِيَامَة) ..

[رَوَاهُ ابنُ المبارَكِ عن الْحَسَنِ (رضي الله عنه) مُرْسلاً]

وحديث قدسى آخر :

٣٥ (وعِزَّتي وجَلالِي لاَ أَجْمَعُ لِعَبْدِي أَمْنَيْنِ ولا خَـوْفَيْنِ : إِنْ هُوَ أَمِنَنى فِى الدُّنْيَا أَخفْتُهُ يوْمَ أَجْمَعُ عِبَادى ، وإِنْ هُوَ خَافَنى فِى الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يوْمَ أَجْمَعُ عِبَادى) ..

[رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ شَدَّادِ بن أَوْسٍ (رضي الله عنه)]

شرح الأحاديث :

العبد – مهما أذنب – إذا استغفر غفر الله له .. وأكبر ذنب أن يرتكب العبد معصية ثم يتعاظم معصيته إلى جنب عفو الله ، بمعنى أن يعتقد أن الله لن يغفر لـــه .. والذنوب مهما كانت عظيمة فرحمة الله أعظم وأوسع وأشمل .. وهو القائل فى حديث قدسى : (**لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ ، وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ ، وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا**)[1] ..

[**فَلَوْ كُنْتُ مُعَجِّلاً الْعُقُوبَةَ أَوْ كَانَتِ الْعَجَلَةُ مِنْ شَأْنِى لَعَجَّلْتُهَا لِلْقَانِطِينَ مِنْ رَحْمَتِى**] : فالله لا يعجل بالعقوبة ولكنه يمهل العاصى لعله يتوب .. ولـــو أن الله عجَّل العقوبة لما عجَّلها لأشد الناس ظلمًا ، أو لأفسق أهل الأرض ، أو للمذنبين ذنبًا كبيرًا ، وإنما يعجلها للقانطين من رحمته .. و« القنوط » : هو اليأس الشديد الذى لا يخالطه أمل .. والحديث يحث المذنبين على المبادرة إلى الله بالتوبة ، والرجاء فى عفوه .. والله تبارك وتعالى يقول : (قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) [2] ..

[**وَلَوْ لَمْ أَرْحَمْ عِبَادِى إِلاَّ مِنْ خَوْفِهِم مِنَ الْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَىّ ، لَشَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُمْ ، وَجَعَلْتُ ثَوَابَهُمْ مِنْه الأَمْنَ لِمَا خَافُوا**] : فالخوف من الحساب يجعـــل الله يرحم الخائف ، وإذا خاف العبد الحساب والوقوف بين يدى الله رزقه الله الأمن يوم الفزع .. وشُكْرُ الله للعبد هو الإثابة ، فالخوف له جزاء وثـــواب .. والخلاصـــة :

---

(1) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة .
(2) سورة الزُّمر آية ٥٣ .

مطلوب شيئان :

(١) **لا يأس من رحمة الله** كما حكى القرآن عن قول « يعقوب » لبنيه : (وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ) [١] وعن قول « إبراهيم » : (وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ) [٢] ..

(٢) **الخوف من الله** ، والخوف نوعان : **خوف عقاب ، وخوف جلال** :

خوف العقاب هو خوف العامة من الناس والعصاة من مؤاخذتِهم على الذنوب ، أو من تقصيرهم فى الطاعة .. أما **خوف الجلال** فهو خوف الملائكة والرسل والمقربين : فالملائكة لا يخافون من قلة الطاعة ، فهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون .. ولكن يخافون رهبة لجلال الله سبحانه وتعالى .. ولذا كان الرسول (ﷺ) أشدَّ الناس خوفًا من الله ، وكان خوفه خوف جلال ..

أما الغافل فلا يخاف ، وكذلك الجبارون والظلمة لا يخافون ، لأنهم لو خافوا لامتنعوا عن الظلم .. فإن كنت مذنبًا فلابد أن تخاف من عقاب الله ، وهذا الخوف يؤدى إلى الامتناع عن ارتكاب المعاصى .. وكلما وقع العبد فى المعصية فخاف ، أدى به كثرة خوف العقاب إلى خوف الجلال الذى يجعله على صراط مستقيم ، فيمتنع عن الكبائر والصغائر إلا اللَّمَم : (إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا) [٣] فاجتناب الكبائر يُكَفِّرُ الصغائر ، واجتناب الصغائر يُؤدِّى من خوف العقاب إلى خوف الجلال ..

---

[١] سورة يُوسُف آية ٨٧ . [٢] سورة الْحِجْر آية ٥٦ . [٣] سورة النِّساء آية ٣١ .

ولا شك أنه كُلَّمَا اشتدَّ خوف العبد من الله فى الدنيا ابتعد عن كل ما يغضبه ، فنال الأمن يوم القيامة ، وكُلَّمَا قل خوف العبد من الله فى الدنيا زادت جرأته على ارتكاب الفواحش والكبائر ففزع يوم القيامة .. لذلك لا يجتمع لعبد خوفان أو أمنان : فمن خاف فى الدنيا أمن يوم القيامة ، ومن أمن فى الدنيا خاف يوم القيامة ، فعلى الإنسان أن يلجأ إلى الله دائمًا بالدعاء رَغَبًا ورَهَبًا .. فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ : (**إِنَّ عَبْدًا فِي جَهَنَّمَ لَيُنَادِي أَلْفَ سَنَةٍ : يَا حَنَّانُ ، يَا مَنَّانُ .. قَالَ : فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلام : اذْهَبْ فَأْتِنِي بِعَبْدِي هَذَا .. فَيَنْطَلِقُ جِبْرِيلُ فَيَجِدُ أَهْلَ النَّارِ مُكِبِّينَ يَبْكُونَ ، فَيَرْجِعُ إِلَى رَبِّهِ فَيُخْبِرُهُ .. فَيَقُولُ : ائْتِنِي بِهِ ، فَإِنَّهُ فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا .. فَيَجِيءُ بِهِ ، فَيُوقِفُهُ عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ .. فَيَقُولُ لَهُ : يَا عَبْدِي ، كَيْفَ وَجَدْتَ مَكَانَكَ وَمَقِيلَكَ ؟ .. فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، شَرَّ مَكَانٍ ، وَشَرَّ مَقِيلٍ .. فَيَقُولُ : رُدُّوا عَبْدِي .. فَيَقُولُ : يَا رَبِّ ، مَا كُنْتُ أَرْجُو إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا أَنْ تَرُدَّنِي فِيهَا !! .. فَيَقُولُ : دَعُوا عَبْدِي**)[1] ..

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ..
وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ .. وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا ..
وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا ، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا ..
وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا ، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا ، وَلا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا ، وَلا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا ، وَلا مَبْلَغَ عِلْمِنَا ، وَلا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لا يَرْحَمُنَا ..

---

[1] رواه أحمد ، باقى مسند المكثرين .

بَذل الفضل

٣٦ (**أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ كَلِمَات فَدَخَلْنَ فِى أُذُنِى ، ووَقَرْنَ فِى قَلْبِى : أُمِرْتُ أَنْ لا أَسْتَغْفِرَ لِمَنْ مَاتَ مُشْرِكًا .. وَمَنْ أَعْطَى فَضْلَ مَالِه فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ .. وَمَنْ أَمْسَكَ فَهُوَ شَرٌّ لَهُ .. وَلا يَلُومُ اللَّهُ عَلَى كَفَافٍ**) ..

[رَوَاهُ ابن جريرٍ عن قَتَادة (رضي الله عنه) مُرْسلاً]

« الفضل » : ما زاد على حاجة الإنسان .. و« الكفاف » : ما كَفَّ الإنسان عن الحاجة إلى الغير ، ولا يزيد على حاجته .

حديث قدسى آخر :

٣٧ (**يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ ، وَلاَ تُلاَمُ عَلَى كَفَافٍ .. وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى**) ..

[رَوَاهُ البَيْهقى عن أبى أُمَامَة (رضي الله عنه)]

« العُلْيَا » : التى تعطى ، و« السُّفْلى » : التى تأخذ .. وقيل : « العُلْيَا » : هى اليد التى يتعفف صاحبها عن السؤال ، و« السُّفْلى » التى يمدها صاحبها للسؤال .. وقيل : « العُلْيَا » للمنفق ، و« السُّفْلى » للمُمْسك .

حديث قدسى آخر :

٣٨ (**يَا ابْنَ آدَمَ ، أَفْرِغْ مِنْ كَنْزِكَ عِنْدِى ، وَلاَ حَرَقَ ، ولاَ**

غَرَقَ ، ولاَ سَرَقَ .. أُوَفِّيكَهُ أَحْوجَ مَا تَكُونُ إِلَيه) ..

[رَوَاهُ البيهقِيُّ عن الْحَسَنِ (رضي الله عنه) مُرْسَلاً]

أى يحفظه الله من الغرق والحريق والسرقة ، ويرده إليك عندما تشتد حاجتك إليه ..

حديث قدسى آخر :

٣٩ (يَا عِبَادِى أَعْطَيْتُكُمْ فَضْلاً ، وَسَأَلْتُكُمْ قَرْضًا ، فَمَنْ أَعطَانِى شَيْئًا مِمَّا أَعْطَيْتُه طَوعًا ، عَجَّلْتُ لَهُ فِى الْعَاجِلِ ، وادَّخَرْتُ لَهُ فِى الآجِل .. وَمَنْ أَخَذْتُ مِنْهُ مَا أَعْطَيْتُهُ كَرْهًا وَصَبَر واحْتَسَبَ ، أَوْجَبْتُ لَهُ صِلاَتِى ، ورَحْمَتِى ، وكَتَبْتُهُ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ، وَأَبَحْتُ لَهُ النَّظَرَ إِلَىَّ) ..

[رَوَاهُ الرَّافِعِىُّ عن أبى هُرَيْرَة (رضي الله عنه)]

« الفضل » : الزيادة ويُطلق على المال والجاه ..

شرح الأحاديث :

يقول الله سبحانه وتعالى : أى إنسان أعطيته فضلا – مهما كانت الأرزاق فى الدنيا – فأنا صاحب المنّ والفضل .. ومن ينسَ نفسه ويقُلْ : (عقلى وتفكيرى) فهو على ضلال .. ويماثل مَنْ حكى عنه القرآن قوله : (إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِىٓ) [1].. فما أعطانا الله من مال فهو من فضله وليس لاستحقاقنا ، أو بتدبيرنا ..

[1] سورة القَصَص آية ٧٨ .

[**وَسَأَلْتُكُمْ قَرْضًا**] « **القَرْض** » هو القطع ، ومنه القوارض ، فكأنك بالقرض تقتطع شيئًا وتُعطيه غيرك إلى أجل .. فالعبد الذى يعطيه الله سبحانه وتعالى من فضله فيخرج زكاة ماله ، وينفق على المساكين – وَعَدَه الله بادخاره له فى الآجل ، أى يوم القيامة فيجد ثوابه وجزاءه .. والحسنة بعشرة أمثالها .. إلى سبعمائة ضعف .. والله يضاعف لِمَنْ يشاء .. بالإضافة لما يناله من بركة فى ماله وزيادة فى الدنيا : (**مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ**)[1] ..

وإذا فقد العبد شيئًا من ماله لأسباب خارجة عن إرادته ، أو فقد جاهًا ، أو ولدًا ، أو شيئًا مما أعطاه الله فصبر ، واحتسب ، وقال : (حَسْبِىَ اللهُ وِنِعْمَ الْوَكِيلُ) واستسلم لقضاء الله – نال ما وعده الله به فى الحديث ..

[**أَوْجَبْتُ لَهُ صِلاَتِى**] : الصِّلات جمع صِلة ، وهى الجائزة والعطية .. وعطايا الله تبارك وتعالى لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى .. [**ورَحْمَتِى**] : وعد من الله تبارك وتعالى بالرحمة فى الدنيا والآخرة .. [**وكَتَبْتُهُ مِنَ الْمُهْتَدِينَ**] : فلا يضل أبدًا ولا يشقى ..

ويصف ربنا تبارك وتعالى الصابرين على المصائب بقوله : (ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ)[2] .. ويبشرهم بقوله : (أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ)[3] .. يقول « عمر بن الخطاب » (رضي الله عنه) فى هذه الآية : (نِعْمَ الْعِدْلاَنِ وَنِعْمَ الْعِلاَوَةُ)[4] .. و« العِدْلاَن » : الحملان اللذان يوضعان على جانبى البعير ،وكل منهما يساوى الآخر فيعتدل فى سيره ..

---

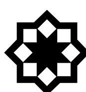
[1] رواه الترمذى ، كتاب الزهد . [2] سورة الْبَقَرة آية ١٥٦ . [3] سورة الْبَقَرة آية ١٥٧ .
[4] رواه البيهقى ، كتاب الجنائز .

و« العِلاوَة » : هى ما زاد فَوُضِع على ظهره .. فـ « العِدْلاَن » : هما الصلوات والرحمة ، و« العِلاوَة » هى : المهتدون ..

[**وَأَبَحْتُ لَهُ النَّظرَ إِلَـيَّ**] : فعَنْ صُهَيْب (رضي الله عنه) أن النَّبيَّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (**إذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّة الْجَنَّةَ ، نَادَى مُنَاد : إِنَّ لَكُمْ عنْدَ اللَّه مَوْعدًا يُرِيـدُ أَنْ يُنْجزَكُمُوهُ .. قَالُوا : أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا !! وَيُنْجنَا منَ النَّارِ !! وَيُـدْخلْنَا الْجَنَّةَ !! قَالَ : فَيُكْشَفُ الْحجَابُ .. قَالَ : فَوَاللَّه مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَـيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ منَ النَّظَرِ إِلَيْه**)[1] .. والنظر إلى وجه الله الكريم هو الزيـادة الـتى جاءت فى قول الله تعالى : (لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَـٰلِدُونَ)[2] ..[3]

اللهُمَّ ارْزُقْنَا حُسْنَ النَّظَرِ فيما يُرضيكَ عَنَّا ..

وارْزُقْنَا لَذَّةَ النَّظَرِ إلى وجْهِكَ الكَرِيم ..



(1) رواه مسلم والترمذى وأحمد . (2) سورة يونس آية ٢٦ . (3) تفسير ابن كثير .

الاعتصام بالله

٤٠ (**أَوْحَى الله عَزَّ وجَلَّ إلى دَاوُدَ : وعِزَّتِى مَا مِنْ عَبْدٍ يَعْتَصِمُ بِى دُونَ خَلْقِى – أَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْ نِيَّتِه – فَتَكِيدُهُ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ بِمَنْ فِيهَا إلاَّ جَعَلْتُ لَهُ مِنْ بَيْنِ ذَلِكَ مَخْرَجًا .. وَمَا مِنْ عَبْدٍ يَعْتَصِمُ بِمَخْلُوقٍ دُونِى – أَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْ نِيَّتِه – إلاَّ قَطَّعْتُ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بَيْنَ يَدَيْه ، وأَرْسَخْتُ الْهُوِىَّ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْه .. وَمَا مِنْ عَبْدٍ يُطِيعُنِى إلاَّ وَأَنَا مُعْطِيهِ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَنِى .. ومُسْتَجِيبٌ له قَبْلَ أنْ يدْعُوَنِى ، وغَافِرٌ لَهُ قَبْلَ أنْ يَسْتَغْفِرَنِى**) ..

[رَوَاهُ أبو تَمَّام ، والدَّيْلَمِىُّ عن عبد الرحمن بن كعب بْنِ مالكٍ عن أبيه (رضي الله عنه)]

شرح الحديث :

يهدف الحديث إلى الدعوة للاعتصام بالله والاعتماد عليه .. ويبين أن الله حين أوحى إلى داود أقسم بعزته .. و« الْعِزَّةُ » فى اللغة تعنى : المنعة والقوة والغلبة .. و« العزيز » : هو الممتنع القوى الذى لا يُغْلب ولا مثيل له ..

[**مَا مِنْ عَبْدٍ يَعْتَصِمُ بِى دُونَ خَلْقِى**] « الاعتصام » : هو التمسُّك بالشىء والاحتماء به والالتجاء إليه .. أى يحتمى بالله ويركن إليه ، ولا يستند إلا إلى الله ، ولا يلجأ إلى أَىِّ قوة سوى قوة الله ..

[**أَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْ نِيَّتِه**] : إذ لابد من النية فى الالتجاء إلى الله ، والرُّكون إليه ..

والنية سرٌّ بين العبد وربه .. لا يعلمها مَلَك فيكتبها ، ولا شيطانٌ فيفسدها ..

[**فَتَكِيدُهُ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ بِمَنْ فِيهَا**] « الكَيْد » : هو ضرب من الاحتيال ، قد يكون فى الخير وقد يكون فى الشرِّ : (كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ) [1] فالكيد هنا كيد الله فى الخير ، وكلمة « كيد » تستخدم فى الشر أكثر .. فما من عبد يعتصم بالله دون خلقه ، فتكيده السموات والأرض بمن فيهنَّ مِن خلائق لتؤذيه أو تأتيه بضرٍّ [**إِلاَّ جَعَلْتُ لَهُ مِنْ بَيْنِ ذَلِكَ مَخْرَجًا**] مصداقًا لقوله تعالى : (وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا) [2] أى : منفذًا ينفذ منه فلا يزيده كيد الكائدين ، وحقد الحاقدين إلا قوة ومنعة ..

[**وَمَا مِنْ عَبْدٍ يَعْتَصِمُ بِمَخْلُوقٍ دُونِى إِلاَّ قَطَّعْتُ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وأَرْسَخْتُ الْهُوِىَّ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ**] « الْهُوِىّ » : جمع هُوَّة وهى الحفرة البعيدة القعر .. وأما العبد الذى يعتصم بالمخلوق فليس له دعاء ، ولا يستجاب له ، ولا يحميه ((الله)) فلا يتمكن من الثبات ، أو الدفاع عن نفسه ، ولا يتمالك قواه ، وتتكاتف عليه الأعداء فتهلكه ..

[**وَمَا مِنْ عَبْدٍ يُطِيعُنِى إِلاَّ وَأَنَا مُعْطِيهِ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَنِى .. ومُسْتَجِيبٌ له قَبْلَ أَنْ يدْعُوَنِى ، وغَافِرٌ لَهُ قَبْلَ أنْ يَسْتَغْفِرَنِى**] : فالعبد الطائع يجيبه الله قبل الدعاء ، ويعطيه قبل السؤال ، ويهب له الخيرات ويلهمه الطلب والدعاء ، فيدعو بما هو مستجاب ، ويكتبُ له المغفرة ، فيلهمه الاستغفار من كل ذنب ، فلا يغفل عن خطيئة صغرت أم

---

[1] سورة يوسف آية ٧٦ .

[2] سورة الطلاق آية ٢ .

كبرت .. وما دام قد ألهمه الله الدعاء فلابد أنه مجيبه ، وما دام قد ألهمه الطاعة فلابد أنـــها مقبولة .. وفى حديث قدسى : (**مَنْ لا يَدْعُونِي أَغْضَبُ عَلَيْه**)[1] .. فالذى لا يدعو الله مغضوب عليه ، والذى يدعو مخلصًا مرضىٌّ عنه ..

ويقول ابن عباس (رضى الله عنهما) : كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّه (ﷺ) يَوْمًا فَقَالَ : (**يَا غُلامُ ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَات : احْفَظ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظ اللَّـــهَ تَجِـــدْهُ تُجَاهَكَ .. إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ .. وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّه .. وَاعْلَمْ : أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّـــهُ لَكَ .. وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَـــهُ اللَّهُ عَلَيْكَ .. رُفِعَتِ الأَقْلامُ ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**)[2] .. ويقول الله تبارك وتعالى : (مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا)[3] ..

وما دُمت قد آمنت بذلك فلابد أن تعتصم بالله لأن : (**مَن اعْتَزَّ بِغَيْـــرِ الله ذلَّ**)[4].. فإذا كنت تؤمن بالله وبأنه الملك القوى القاهر ، يُؤتى الملك مَنْ يشاء ، ولا يقع فى ملكه إلا ما يشاء ، وهو الفعال لما يُريد ، فلا تخف إلا ((الله)) ، ولا تخش فى الحق لومة لائم .. ويقول رسول الله (ﷺ) : (**لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورِينَ .. لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**)[5] ..

نَسْأَلُ الله – تبارك وتعالى – أنْ نَكُونَ مِنْهُم ..

وأنْ يُرِيَنَا الحقَّ حقًّا ، ويَرْزُقَنا اتِّبَاعَهُ .. وأن يُرِيَنَا البَاطِلَ بَاطِلاً ، ويَرْزُقَنا اجْتِنَابَهُ ..

---

(1) رواه العسكري في المواعظ . (2) رواه الترمذى ، كتاب صفة القيامة . (3) سورة فَاطِر آية ٢ .
(4) رواه أبو نعيم في الحلية . (5) رواه ابن ماجه .

يَالَها مِنْ حَسَنة

٤١ **(أَوْحَى الله تعالى إلى دَاوُدَ : يَا دَاوُدُ ، إِنَّ الْعَبْـدَ لَيَـأْتِى بِالْحَسَنَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأُحَكِّمُهُ بِهَا فِى الْجَنَّةِ .. قَالَ دَاوُدُ : يَارَبِّ ، وَمَنْ هَذَا العَبْدُ ؟! .. قَالَ : مُؤْمِنٌ يَسْعَى لأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ فِى حَاجَتِـهِ يُحِـبُّ قَضَاءَهَا ، قُضِيَتْ عَلَى يَدَيْهِ أَوْ لَمْ تُقْضَ) ..**

[رَوَاهُ الْخَطِيبُ وَابْنُ عَسَاكِر عَنْ عَلِىٍّ (رضي الله عنه)]

شرح الحديث :

[**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَأْتِى بِالْحَسَنَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَأُحَكِّمُهُ بِهَا فِى الْجَنَّةِ**] : يأتى العبد يوم القيامة بحسنة واحدة .. ويالها من حسنة !! .. و« التحكيم » : التفـويض فى الحكم .. فالله سبحانه وتعالى يفوضه بـهذه الحسنة فى الجنة يحكم فيها بمـا يشـاء لنفسه ، ويقول له : (ضَعْ نَفْسَك حيث تُريد ، وسَلْ لنفسك ما تُريد) ..

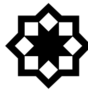
[**قَالَ دَاوُدُ : يَارَبِّ ، وَمَنْ هَذَا العَبْدُ ؟!**] : تعجب « داود » من هذا الأمر .. فكيف يأتى عبد بحسَنَة واحدة فيُفوَّضُ أمرُ ثوابـها إليه ، فيحكم لنفسه بما يشاء ؟! ..

[**قَالَ : مُؤْمِنٌ يَسْعَى لأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ فِى حَاجَتِهِ يُحِبُّ قَضَاءَهَا ، قُضِيَتْ عَلَى يَدَيْهِ أَوْ لَمْ تُقْضَ**] : أخبر الله داودَ عن هذا العبد بأنه مؤمن آمن بالله ورسـوله ، يسعى فى حاجة أخيه المؤمن بإخلاص ، ويبذل فى ذلك جهده وهو سعيد بـذلك يُحِبُّ قضاءها له .. وسواءٌ أقضيت هذه الحاجة على يديه أم لم تُقْض فأجره محفوظ

لأن قضاءها مُعَلَّق بمشيئة الله .. والأعمال بالنية .. ونبينا (ﷺ) يقول : (**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لا يَظْلِمُهُ ، وَلا يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[1] ..

والمعروف ينفع صاحبه حيًّا وميِّتًا .. وقد حدث فى إحدى الغزوات أن كانت إحدى السيدات الأسارى تريد مقابلة النبى (ﷺ) ، فأذن لها فجاءته وقالت : أنا بنت « حاتم الطائى » فقال (ﷺ) : (**خَلُّوا عَنْهَا ، فَإِنَّ أَبَاهَا كَانَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ ، والله يُحِبُّ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ**)[2] ، فَأَطْلَقَ سَرَاحَهَا ، على رغم أن أباها قد مات فى الجاهلية ..

اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِخِدْمَةِ عِبَادِكَ وَقَضَاءِ مَصَالِحِهِمْ ..
وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ..



---

(1) رواه البخارى ، كتاب المظالِم والغصب .

(2) رواه ابن عساكر عن على (رضي الله عنه) .

٤٢ (**يَقُولُ الله يَوْمَ الْقِيامة : أَدْنُوا منِّى أحِبَّائى .. فتقول الملائكة : ومَنْ أحِبَّاؤكَ ؟! .. فيقول : فقراء الْمُسْلمين .. فَيُدْنَوْنَ منْهُ .. فيقـــولُ : أما إنِّى لَمْ أَزْوِ الدُّنْيَا عَنْكُم لِهَوانٍ كَانَ بِكُمْ علىَّ ، ولَكِنْ أَرَدْتُ بذَلكَ أَنْ أُضعِّفَ لكُمْ كَرَامَتِى الْيَوْمَ فَتمَنَّوْا عَلَىَّ مَا شِئْتُمُ الْيَومَ .. فَيُؤْمَرُ بِهم إلَـــى الْجَنَّة قَبْلَ الأغْنياء بأَرْبَعينَ خَرِيفًا**) ..

[رَوَاهُ أَبُو الشَّيْخِ عَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه)]

وهناك حديث قدسى آخر :

٤٣ (**قَالَ مُوسَى : يَارَبِّ إنَّكَ تُغْلِقُ عَلَى عَبْدِكَ الْمُؤْمنِ الدُّنْيَا ! .. فَفَتَحَ الله لَهُ بَابًا منْ أَبْوَابِ الْجَنَّة ، فَقَالَ : هَذا مَا أَعْدَدْتُ لَهُ .. قَـــالَ : وعزَّتِكَ وَجَلالِكَ وَارْتِفاعِ مَكَانِكَ ، لَوْ كَانَ أَقْطَعَ الْيَدَيْنِ وَالـــرِّجْلَيْنِ يُسْحَبُ عَلَى وَجْهِهِ مُنْذُ خَلَقْتَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة ثُمَّ كَانَ هَذا مَصِيرَهُ لَكَانَ لَمْ يَرَ بأْسًا قَطُّ .. قَالَ : يَارَبِّ ، إنَّكَ تُعْطِى الكَافِرَ فى الدُّنْيَا ! .. فَفَتَح لَهُ بَابًا منْ أَبْوَابِ النَّارِ ، فَقَالَ : هَذا مَا أَعْدَدْتُ لَـــهُ ، فَقَـــالَ : يَـــارَبِّ ، وَعِزَّتِكَ لَوْ أَعْطَيْتَهُ الدُّنْيَا ومَا فِيهَا لَمْ يَزَلْ فِى ذَلِكَ مُنْذُ خَلَقْتَهُ إِلَى يَـــوْمِ**

الْقِيَامَةِ ثُمَّ كَانَ هَذَا مَصِيرَهُ كَأَنْ لَمْ يَرَ خَيْرًا قَطُّ) ..

[رَوَاهُ الدَّيْلَمِى عَنْ أَبِى سَعِيدٍ (رضي الله عنه)]

شرح الأحاديث :

فى الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .. وفى النار ألوان من العذاب والشقاء لا يقدر عليها بشر .. والحياة الأخروية خلـــود ولا موت فيها ، وهى دار جزاء وليست دار عمل .. أما الحياة الدنيا فهى قصيرة تنتهى بانتهاء عمر الإنسان وبقيام الساعة ، وهى دار عمل وليست دار جزاء .. من هنـــا كان عطاء الدنيا اختبارًا وابتلاءً ، وكذلك الحرمان فيها ، لأن الجزاء لا يكون إلا فى الآخرة .. وكلما حُرم المؤمن من عطاء الدنيا ، زاد أجره وثوابه فى الآخرة ، وكان بعيدًا عن الابتلاء والاختبار الذى ربما لا يقدر عليه ، فالمال فتنة وكـــذلك الجـــاه والسلطان .. أما الكافر فقد تكون له أعمال طيبة فى الدنيا لا يثاب عليها فى الآخرة لِكُفْرِهِ ، فيعطيه الله أجره فى الدنيا من متاعها وليس له فى الآخرة مـــن نصـــيب ، ولذلك نرى قول الله سبحانه وتعالى : (وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا)[1] ..

ولما تعجب « موسى » : من أن يُغْلِق الله الدنيا على العبد المؤمن ، أراه الله ما يدّخر له فى الجنة بأن فتح له بابًا واحدًا من أبواب الجنة التى لها ثمانية أبواب ، فأقسم « موسى » : أن المؤمن الذى حُرم متاع الدنيا لو كانت يداه مقطوعتين وكـــذلك

---

[1] سورة الأحقاف آية ٢٠ .

رِجْلاهُ ، و لم يبق له إلا الرأس والبطن ، وكان يُسحب على وجهه منذ خلقه الله إلى يوم القيامة ثم فاز بما رأى « موسى » بعضه لكان كأنّه لم يَرَ فى عمره ضيقًا ، أو لم يذق طعم الحرمان قط ، ولنسى كل مرارة الدنيا ..

وكذلك النار لو أخذ الكافر الدنيا وما فيها كلها ، والأرض وما عليها منذ خُلِق إلى يوم القيامة ، ثم كان مصيره النار .. لنسى نعيم الدنيا وكأنه لم ير خيرًا قط ..

والعبد بمجرد نزوله القبر يرى بعضًا من ذلك ، فإن كان من الصالحين فُتِح له طاق ينظر منه إلى النار ، ويُقال له : هذا مقعدك من النار أنجاك الله منه .. ثم يفتح له طاق ينظر منه إلى الجنة ويُقال له : هذا مقعدك من الجنة انظر إليه حتى تُبعث إليه .. فيقضى حياته فى القبر ينظر إلى مكانه فى الجنة .. وإن كان من المجرمين فيحدث له العكس ، إذ يرى مقعده من الجنة ، ويُقال له : هذا مقعدك فى الجنة ضيعته بأعمالك السيئة ، ثم يُفتح له طاق فيرى النار ويُقال له : هذا مقعدك من النار انظر إليه حتى تُبعث إليه : (ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) [1] .

والإحْسَاس بالوقت نِسْبِىٌّ :

فهل الْمُسْتيقظ يشعر بالوقت كالنائم ؟! لا ..

وهل السَّعيد يشعر بمرور الوقت كالحزين ؟! لا ..

وهل الْحُرُّ يشعر بمرور الوقت كالسجين ؟! لا ..

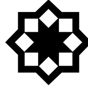
فالله سبحانه وتعالى هو خالق المكان ، وخالق الزمان ، وهو خالق الإحساس

---

[1] سورة غَافِر آية ٤٦ .

بالمكان وبالزَّمان ، فهو القادر على أن يقصر الزمان أو يطيله على مـــن يشـــاء .. وكذلك الحال فى القبر : يُطال الزمان على الكافر ليطول عذابه ، ويُقصر على المؤمن ليقل انتظاره ..

اللهمَّ ما أعْطَيْتَنَا مِن الدُّنيا فاجْعَلْهُ طاعَةً لَكَ ..
وما زَوَيْـــتَهُ عنَّا فاجْعَلْهُ فَرَاغًا لَك ..



٤٤ (قَالَ مُوسَى : يَارَبِّ ، عَلِّمْنِى شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ .. قَالَ : يَا مُوسَى ، قُلْ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ .. قَالَ : يَارَبِّ ، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَذَا .. قَالَ : قُلْ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ .. قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ .. يَارَبِّ ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصُّنِى بِهِ .. قَالَ : يَا مُوسَى ، لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِى ، وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِى كِفَّةٍ ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ فِى كِفَّةٍ ، مَالَتْ بِهِنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ) ..

[رَوَاهُ النَّسَائِى وَابْنُ حِبَّان ، والحَاكِمُ ، وأَبُو نُعَيْمٍ ، وَأَبُو يَعْلى ، والحكيم عن أبى سَعِيدٍ (رضي الله عنه)]

وفى حديث قدسى آخر :

٤٥ (قَالَ مُوسَى : يَارَبِّ ، وَدِدْتُ أَنْ أَعْلَمَ مَنْ تُحِبُّ مِنْ عِبَادِكَ فَأُحِبُّهُ .. قَالَ : إِذَا رَأَيْتَ عَبْدِى يُكْثِرُ ذِكْرِى فَأَنَا أَذِنْتُ لَهُ فِى ذَلِكَ ، وَأَنَا أُحِبُّهُ .. وَإِذَا رَأَيْتَ عَبْدِى لاَ يَذْكُرُنِى فَأَنَا حَجَبْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَأَنَا أُبْغِضُهُ) ..

[رَوَاهُ الدَّارقطنى ، وابن عَسَاكِر عَنْ عُمَرَ (رضي الله عنه)]

● وقال رسول الله (ﷺ) : (أَفْضَلُ الذِّكْرِ : لا إِلَــهَ إِلاَّ اللَّــهُ .. وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ : الْحَمْدُ لِلَّه) [١] ..

● وقال أيضا : (مِفْتَاحُ الْجَنَّة : شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله) [٢] ..

● وقد سأل أبو هُرَيْرَة (رضي الله عنه) رَسُولَ الله (ﷺ) : (مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَة ؟ .. فقَالَ : لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيث أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ ، لِمَا رَأَيْتُ مِــنْ حِرْصِــكَ عَلَــى الْحَدِيث .. أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ : لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ – أَوْ نَفْسِه –) [٣] ..

● ويقول (ﷺ) : (خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [٤] ..

ويقول الله سبحانه وتعالى فى حديث قدسى :

٤٦ (لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله كَلاَمِى ، وَأَنَا هُو ، فَمَنْ قَالَهَا دَخَلَ حِصْنِى ، وأَمِنَ عِقَابِى) ..

[رواه ابن النَّجَّار عَنْ عَلِيّ بن أَبِى طَالِب (رضي الله عنه)]

---

[١] رَوَاهُ التِّرْمذى عن جَابِر بن عبد الله . [٢] رَوَاهُ البَزَّار عن مُعَاذ بن جَبَل .
[٣] رَوَاهُ البُخَارى عن أبى هُرَيْرَة . [٤] رَوَاهُ التِّرْمذىّ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ .

ويقول فى حديث آخر :

٤٧ (**لاَ إِلَــهَ إِلاَّ اللهُ حِصْنِى ، وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِى أَمِنَ مِنْ عَذَابِى**) ..

[رَوَاهُ أبو نعيم ، وابن النجار ، وابن عَسَاكِر عن عَلِىّ بن أَبِى طَالِب (رضي الله عنه)]

شرح الأحاديث :

فى يوم من الأيام سمع أهل « نيسابور » بقدوم رجل من آل بيت النبوة وهو : « عَلِىُّ الرِّضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علــى زيــن العابدين بن الْحُسَيْن بن عَلىِّ بنِ أبى طالب » .. فاجتمع أهل العلم واجتمع فضلاء الناس لاستقباله ، فمر عليهم على بغلته الشهباء فى قُبَّة قــد أرخيــت ســتائرها ، فاستوقفوه وقالوا له : يابن الأكرَمين ، نستحلفك باللهً أن تكشف السِّتر حتى نتطلع إلى وجهك وأن تحدثنا حديثًا عن آبائك .. فكشف « عَلِىُّ الرِّضَا » الستر ، فتطلعوا إلى وجهه المنير ، وقال : حدثنى أبى « موسى الكاظم » عن أبيه « جعفر الصادق » عن أبيه « محمد الباقر » عن أبيه « عَلِىّ زين العابدين » عن أبيه « الْحُسَيْن بن عَلِىٍّ » عنِ أبيه « عَلِىّ بن أبى طالب » عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن جبريلَ الأمين عــن رب العزة أنه قال : (**لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ حِصْنِى ، فَمَنْ قَالَهَا دَخَلَ حِصْنِى ، وَمَــنْ دَخَــلَ حِصْنِى أَمِنَ مِنْ عَذَابِى**) [1] .. قال بعض العلماء : إن هذا الحديث لو قُرِئ بِسَنَدِهِ على مصروع أو مجنون لأفاق !! ..

لفظ (لا إله إلا الله) لفظ التوحيد ، من أجله قامت السموات والأرض ، من قالــه مخلصًا من قلبه دخل الجنة ، وعندما سمع « مُعَاذ بن جبل » (رضي الله عنه) قــول

[1] رواه أبو نعيم ، وابن عساكر ، وابن النجار .

رسول الله (ﷺ) : **لا يَشْهَدُ عَبْدٌ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ثُمَّ يَمُوتُ عَلَى ذَلِكَ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ .. قال : أَفَلاَ أُحَدِّثُ النَّاسَ ؟! قَالَ : لا ، إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَتَّكِلُوا عَلَيْهِ** [1] .. فكتم « معاذ » الحديث حتى كان على فراش موته فأخبر بالحديث قبل أن يموت خشية كتمان العلم ..

ويشترط فيمن يقول : (لا إله إلا الله) أن يُقِرَّ بها باللسان ، ويعتقدها بالْجَنَان .. أما النطق باللسان دون عقيدة فى القلب فلا ينفع .. ولابد أن تنعكس العقيدة على الجوارح والسلوك والأخلاق ، فإذا انعكست كلمة : (لا إله إلا الله) على سلوك العبد ، فذاك هو المؤمن الحقيقى المخلص من قلبه .. فإذا ابتغيت الرزق من غير الله ، أو اعتصمت بالخلائق دونه ، أو خِفت غيره فَسَكَتَّ عن كلمة الحق واعتقدت أن النفع والضر يأتى من غيره .. فكل ذلك يقدح فى صحة العقيدة ..

وأحوال من قال : (لا إله إلا الله) مخلصًا من قلبه هى :

١– أن لا يخاف فى الله لومة لائم .

٢– أن لا يبتغى الرزق إلا من عند الله .

٣– أن لا يَتَّكِل ولا يَعْتَصِم إلا بالله .

٤– أن لا يُفَوِّض أمْرَهُ إلا إلى الله .

وكلمة : (لا إله إلا الله) تُشعر العبد بالحرية المطلقة ، والقوة ، والعِزّة .. ومع استشعار المعنى يترقى الإنسان فى معارج التوحيد ، فيشعر بأن الله فَعَّالٌ لِمَا يريد ، ولا

---

[1] رواه أحمد ، مسند الأنصار .

يقع فى مُلْكه إلا ما يريد ، فيرضى عن كل ما يأتى به القضاء والقدر ..

وقول الله عز وجل : (وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا) [1] يُشعرنا بأن معرفة ذلك تستحق الشكر لله ، كما تُشعر العبد بالاطمئنان ، فإرضاء الخلق من الأمور التى لا تُدرك ، وإرضاء الله سهل يسير لأنه إله واحد .. ومن نِعَمِه على العباد أنه رسم لهم الطريق الذى يؤدِّى إلى رِضَاه ، ويقول الرسول (ﷺ) : (**مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللَّه بِسَخَطِ النَّاسِ ، كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ .. وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّه ، وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ**) [2] .. ويقول : (**إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ**) [3] .

وكذلك يتضح من الحديث الثانى : [**قَالَ مُوسَى : يَارَبِّ ، وَدِدْتُ أَنْ أَعْلَمَ مَنْ تُحِبُّ مِنْ عِبَادِكَ فَأُحِبُّهُ**] قال : [**إِذَا رَأَيْتَ عَبْدِى يُكْثِرُ ذِكْرِى فَأَنَا أَذِنْتُ لَهُ فِى ذَلِكَ ، وَأَنَا أُحِبُّهُ**] .. لأن العبد لا يمكن له أن يذكر الله إلا إذا أذن له فى ذلك .. فإذا أُلْهِمت الذكر فهى نعمة من الله عليك ، فاغتنمها لأن الله فتح لك الباب ، ولن يغلقه فى وجهك أبدًا ..

[**وَإِذَا رَأَيْتَ عَبْدِى لاَ يَذْكُرُنِى فَأَنَا حَجَبْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَأَنَا أُبْغِضُهُ**] .. إذًا فربنا هو الذى يحجب الغافلين عن ذكره ، ويُنْعِم على الذاكرين بذكره ..

---

[1] سورة الإسْرَاء آية ١١١ . [2] رواه الترمذى ، كتاب الزهد . [3] رواه البخارى ، كتاب الأدب .

حقًّا صدق رسول الله (ﷺ) حين يقول : (**أَفْضَلُ الذِّكْرِ : لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّـــهُ .. وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ : الْحَمْدُ للَّه**) [1] ..

وكلمة (الْحَمْدُ لله) أول كلمة تقال حين البعث : (يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ) [2] .. وأول كلمة يقولها أهل الجنة عند دخولها : (وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا)[3] .. وآخر دعاء أهل الجنة : (وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ)[4] .. وبـــها بُدِئ الخلق : (ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ)[5] .. وبـــها أُنْهِىَ الحساب : (وَقُضِىَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ)[6] .. وهى كلمة تملأ الميزان ، وهى دعاء : (فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ)[7] .. وهىقيد النِّعَمِ ومفتاح الزيادة ، فقد ورد عن عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) قوله : (قَيِّدُوا النِّعَمَ بالشُّكْرِ)[8] .. والله تبارك وتعالى يقول : (وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ)[9] ..

اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّموات .. ومِلءَ الأرْض ..
وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنَ شيءٍ بَعْد ..
لاَ نُحْصِى ثناءً علَيْكَ أنتَ كَمَا أَثْنَيْتَ على نَفْسِك ..

---

[1] رواه الترمذى ، كتاب الدعوات . [2] سورة الإسْرَاء آية ٥٢ . [3] سورة الأعْرَاف آية ٤٣ .
[4] سورة يُونُس آية ١٠ . [5] سورة الأنْعام آية ١ . [6] سورة الزُّمَر آية ٧٥ .
[7] سورة غافِر آية ٦٥ . [8] كتاب الشكر لابن أبي الدنيا . [9] سورة إبراهيم آية ٧ .

٤٨ (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْب .. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْه .. وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ .. فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ : كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِه ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِن اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ .. وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ) ..

[رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة (رضي الله عنه)]

وجاء الحديث بصيغ أخرى :

٤٩ (مَنْ آذَىَ لِى وَلِيًّا فَقَد اسْتَحَلَّ مُحَارَبَتِى .. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِى بِمِثْلِ أَدَاءِ الْفَرَائِض .. وَمَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِل حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتهُ : كُنْتُ عَيْنَهُ الَّتِى يُبْصِرُ بِهَا ، وَأُذُنَهُ الَّتِى يَسْمَعُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا ، وَفُؤَادَهُ الَّذِى يَعْقِلُ بِهِ ، وَلِسَانَهُ الَّذِى يَتَكَلَّمُ بِهِ .. إِنْ سَأَلَنِى أَعْطَيْتُهُ ، وَإِنْ دَعَانِى أَجَبْتُهُ .. وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَىءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِى عَنْ وَفَاتِهِ ، لأَنَّهُ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ) ..

[رَوَاهُ أَحْمَدُ والحكِيمُ وأَبُـو يعلى والطَّبَرانِىُّ وأبو نُعَيْمٍ وابْنُ عَساكِرَ عَـنْ عَائِشَةَ (رضى الله عنها)]

شرح الأحاديث :

من هو الولى ؟ كلمة « تولى فلان فلانًا » أى : تولى أمره ، فوليُّك : هو من يتولى أمرك على التوالى وبصفة مستمرة ..

وقد جاءت كلمة الولى فى القرآن فى مواضع كثيرة : (ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)[1] .. (إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ)[2] .. (أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ)[3] ..

و« الْوَلِىُّ » : هو المؤمن الذى يؤدى الفرائض على الوجه الأكمل ، ثم يؤدى النوافل بعد ذلك .. والنوافل هى الزيادات .. و« النفل » : العطية (نفله : أعطاه) .. والنوافل تجبر نقص الفرائض وتعوض الخطأ فيها ، ولكن أحب شىء إلى الله هو أداء الفرائض ، أما النوافل فإنـها تزيد العبد قربًا من الله .. ومَنْ داوم الطَّرْق يوشك أن يُفتح له .. وأداء النوافل يؤدى إلى حب الله للعبد .. فإذا أحبه الله كان سمعه الذى يسمع به ، فيصبح مِمَّن قال الله فيهم : (وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ)[4] .. (ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ)[5] فيميز بين الحق والباطل ، وكذلك الحال بالنسبة إلى اليد والرِّجْل والبصر واللسان والفؤاد ، فلا يأتى بـها إلا ما يرضى

---

(1) سورة البقرة آية ٢٥٧ . (2) سورة الأَعْرَاف آية ١٩٦ . (3) سورة يُونُس الآيتان ٦٢ ، ٦٣ .
(4) سورة المؤْمِنُون آية ٣ . (5) سورة الزُّمَر آية ١٨ .

الله ، ولا يستخدمها إلا فى طاعة الله .. والإيذاء للولى : بالقول ، أو بالإشارة ، أو بالغيبة ، أو بأى نوع من أنواع الأذى يعرض المؤذِى للمحاربة من الله .. **فهل يمكن معرفة الولى ؟!** .. قد يظهر الولى ويعرفه الناس ، وقد لا يعرفه أحد .. فمِنَ الأولياء مَنْ لا يعرفون قدر أنفسهم ، ومقامهم محجوب عنهم وعن غيرهم حتى لا يتملكهم الغرور أويفتَـــتِن الناس بـــهم .. والأولياء بصفة مستمرة على وَجَل ، لا يزكُّون أنفسهم ،ولا يطمئنون لأعمالهم ..(وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ)[1] ..

وهناك من يُخْـــبَرون ، ويتم إخبارهم بوسائل متعددة : منها الرؤيا الصادقة لأن الرسول (ﷺ) قال : (**لَنْ يَبْقَى بَعْدِي مِنَ النُّبُوَّةِ إلاَّ الْمُبَشِّرَاتُ .. فَقَالُوا : وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟! قَالَ : الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ، يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَى لَهُ ، جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**)[2].. ومنها ما جاء فى قول الله تبارك وتعالى : (إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ)[3].. ونعتقد – والله أعلم – أن هذا الكلام لا يكون بعد الموت ، لأن الدنيا تكون قد ذهبت بما عليها .. وإنما قد يكون فى الدنيا لأنه بشارة .. وقد قال رسول الله (ﷺ) : (**إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ ، وَإِنَّهُ إِنْ كَانَ**

---

[1] سورة الْمؤمنون آية ٦٠ .

[2] رواه مالك فى الموطأ ، كتاب الجامع .

[3] سورة فُصِّلت الآيتان ٣٠ ، ٣١ .

فِي أُمَّتِي هَذِهِ مِنْهُمْ ، فَإِنَّهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ)[1] .. وكان بعض الصحابة إذا قرأ القرآن نزلت الملائكة لتسمعه فيراها كالقناديل المعلقة فى السماء .. ومثل هؤلاء لا يحدثون الناس بذلك ، بل يكتمونه لأنه سرٌّ بينهم وبين الله ..

[وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ] « اسْتَعَاذَنِي » معناها : احتمى بى واستجار بى فلا يُرفض له طلب .. ويُعاذ من كل بلاء الدنيا ، وعذاب الآخرة ، وتصبح كلماته عطاءً ، ونظراته شفاءً .. فلو قال لمريض : شفاك الله ، فسوف يشفى بإذن الله لأنــها دعاء .. ومعنى « التَّردُّد » الذى جاء فى الحديث قال فيه العلماء : التَّرَدُّد هنا عندما يقبض روحه يقبضها بالتدريج ، وقال البعض الآخر : إنه يخاطب ما اعتادته عقولنا ، والبعض قال : تَرَدَّدَ بمعنى : رَدَّدَ فالتفعُّل بمعنى : فَعَّلَ أى إن الملائكة تذهب لتقبض الروح فترجع ، فالملائكة هى المترددة فى قبض روح المؤمن .. ويضربون المثل بـــ « موسى » عندما ضرب ملك الموت وفقأ عينه .. والبعض يقول : إن التَّرَدُّد يعنى لو أن هذا الولى عمره يمتد إلى ثلاث وسبعين سنة فى اللوح المحفوظ ، وتعرَّض للمرض فى سن الخمسين أو شعر أنه سيموت فسأل الله أن يمد فى عمره ولا يميته .. فالله سبحانه وتعالى - من أجل كراهية الولى للموت ، ولأنه لا يريد أن يحزنه - يتركه لسن الثلاث والسبعين بسبب دعائه ..

ويقول رسول الله (ﷺ) : **(مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ .. قَالَتْ عَائِشَةُ - أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ - : إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ !! قَالَ : لَيْسَ ذَاكِ ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ**

---

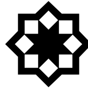
[1] رواه البخارى ، كتاب أحاديث الأنبياء .

اللَّه وَكَرَامَته ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْه ممَّا أَمَامَهُ ، فَأَحَبَّ لقَاءَ اللَّه وَأَحَبَّ اللَّهُ لقَاءَهُ ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بعَذَاب اللَّه وَعُقُوبَته ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْه ممَّا أَمَامَهُ ، كَرِهَ لقَاءَ اللَّه وَكَرِهَ اللَّهُ لقَاءَهُ)[1] ..

وقد يمرض الولى قبل الموت ويعانى من سكراته .. وتقول السيدة عائشة (رضى الله عنها) : (**مَا أَغْبِطُ أَحَدًا بِهَوْنِ مَوْتٍ بَعْدَ الَّذِي رَأَيْتُ مِنْ شِدَّةِ مَوْتِ رَسُولِ اللَّه ﷺ**)[2] .. لأنه (ﷺ) كان يُغْشى عليه ويفيق ثم يُغْشى عليه ويفيق ويقول : (**إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ**)[3] .. وكثير من الصحابة تمنى الْجَهْدَ عند الموت وقال : ذاك آخر ما يُكَفِّر الله به عن عباده ..

ونخرج من الحديث بنقطة هامة وهى : إياك والصالحين من عباد الله .. والمواظبين على الصلاة .. والطائعين لله فقد يكونون من أولياء الله دون أن تدرى فلا تؤذهم : بالإشارة أو بالكلمة أو بالفعل لأنه إذا غضب أحدهم ، غضب الله لغضبه ، وإذا رضى رضى الله لرضائه ..

اللهُمَّ ارْحَمْنَا يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ ..
وَاجْعَلْنَا مِنْ أَوْلِيائكَ .. وأَحْبِبْ لِقَاءَنَا ..
وَحَبِّبْ إِلَيْنَا لِقَاءَكَ ..



---

[1] رواه البخارى ، كتاب الرقاق . [2] رواه الترمذى ، كتاب الجنائز . [3] رواه البخارى ، كتاب المغازى .

ثبات الأقدام

٥٠ **(قَالَ دَاوُدُ عليه السلام فِيمَا يُخَاطِبُ رَبَّـــهُ : يَـــا رَبِّ ، أَىُّ عِبَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أُحِبُّهُ بِحُبِّكَ ؟ .. قَالَ : يَا دَاوُدُ ، أَحَبُّ عِبادى إِلَىَّ : تَقِىُّ الْقَلْبِ ، نَقِىُّ الْكَفَّيْنِ ، لا يَأْتِى إِلَى أَحَد سُوءًا ، وَلاَ يَمْشِى بِالنَّمِيمَة ، تَزُولُ الْجِبَالُ وَلا يَزُولُ .. أَحَبَّنِى ، وَأَحَبَّ مَنْ يُحِبُّنِى ، وَحَبَّبَنِـــى إِلَـــى عِبَادِى .. قَالَ : يَا رَبِّ ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّى أُحِبُّكَ ، وَأُحِبُّ مَنْ يُحِبُّـــكَ ، فَكَيْفَ أُحَبِّبُكَ إِلَى عِبَادِكَ ؟! .. فقَال : ذَكِّـــرْهُمْ بِـــآلائى ، وَبَلاَئِـــى ، ونَقْمَائِى .. يَا دَاوُدُ ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يُعِينُ مَظْلُومًا ، أَوْ يَمْشِى مَعَهُ فِـــى مَظْلَمَته إِلاَّ أَثْبَتُّ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامُ) ..**

[رَوَاهُ الْبَيْهَقِىُّ فى شُعَبِ الإِيمَان ، وَابْنُ عَسَاكِرَ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ (رضى الله عنهما)]

شرح الحديث :

يبين الحديث حرص « داود » على حب الله ، على رغم أن « داود » قد أعطاه الله تبارك وتعالى الْمُلك والحكمة وعلَّمه مما يشاء .. وسخَّر معه الجبال يسبحن بالعشى والإشراق ، والطير محشورة كلٌّ له أوَّاب ، ومنحه أجمل صوت فى الوجود – كما منح « يُوسُف » أجمل وجه وأبـــهى طلعة فى الوجود – وأعطاه « الزَّبُور » ، و« الزَّبُور » ليس فيه أوامر ونواهٍ ، وليس فيه أحكام ، ولكنه حِكَم ومواعظ .. وكان « داود » يتغنى بـــ « الزَّبُور » ، فإذا قرأه متغنيًا به احتشدت الطيور جميعا حوله ،

وسكن الكون كله ، ورددت الجبال والطير وراءه ما يقول .. وعلى رغم هذا العطاء الربانى لـــ « داود » ، إلا أنه كان حريصًا على المزيد من حب الله تبارك وتعالى ، لأن حب الله تبارك وتعالى أغلى ما فى الوجود ، وهو أعظم الآمال جميعًا ، فلا يرجو العبد الصالح – مهما قرب من الله – أكثر من حب الله تبارك وتعالى ، لأن الله إذا أحب عبدًا أحبه كل شيء فى الوجود ..

[**أَىُّ عِبَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أُحِبُّهُ بِحُبِّكَ ؟**] : وبـــهذه المناسبة كان للنبى (ﷺ) مولى يُدعى « ثَوْبَان » ، وكان شديد الحب لرسول الله (ﷺ) قليل الصبر عنه ، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونَحِلَ جسمه ، يُعرف في وجهه الحزن ؛ فقال له (ﷺ) : (**يا ثَوْبَان ما غيّر لونك ؟**) فقال : يا رسول الله ما بي ضرّ ولا وجع ، غَيْر أني إذا لم أرك اشْتَقتُ إليك ، واسْتَوْحَشْتُ وحشة شديدة حتى ألقاك ، ثم ذكرت الآخرة وأخاف ألاَّ أراك هناك ؛ لأني عرفت أنك تُرفع مع النبيين ، وأني إن دخلت الجنة كنتُ في منـــزلة هي أدنى من منـــزلتك ، وإن لم أدخل فذلك حِينٌ لا أراك أبدًا .. فنـــزل قول الله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[1] .. [2]

ويُروى أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ (ﷺ) عَنِ السَّاعَة فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ : (**وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟**) قَالَ : لاَ شَيْءَ إِلاَّ أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (ﷺ) .. فَقَالَ : (**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**) [3] ..

من هنا كان حرص « داود » على معرفة أحباب الله حتى يحبهم بحب الله ..

---

[1] سورة النساء آية ٦٩ . [2] تفسير القرطبى . [3] رواه البخارى ، كتاب المناقب .

فقال له الله : [**أَحَبُّ عِبادى إِلَيَّ تَقِيُّ الْقَلْبِ** ..]

« **التقوى** » وهى الصفة الأولى : وكلنا يعلم أن رسول الله (ﷺ) أشار إلى قلبه ، وقال : (**التَّقْوَى هَاهُنا**)[1] .. وفى القرآن : (فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ)[2] .. فالقلب محل التقوى وليست الجوارح ، والخشوع أيضا محله القلب .. ويقـــول (ﷺ) : (**أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَد مُضْغَةً ، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ**)[3] .. ولله درّ القائل : (الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ : بِقَلْبِهِ ولِسَانِه) .. وحين رأى سعيد بن المسيب (رضي الله عنه) رجلاً وهو يعبث بلحيته أثناء الصلاة ، أشار إليه وقال : (لو خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ) .. فكانت أول صفة من صفات الأحباب : [**تَقِيُّ الْقَلْبِ**] : ذلك الذى يخشى الله فى السِّرِّ كما يَخْشَاهُ فى العلن .. ذلك الذى يذكر الله فى السِّرِّ أكثر مما يذكره فى العلن .. الذى يُخفى شوقه وحبه إلى الله عن الناس .. الذى يُخفى الصدقات ويُخفى الصالحات ، فما أخفى من عمله أكملُ وأعظمُ وأكثرُ مما أظهر ..

[**نَقِيُّ الْكَفَّيْنِ**] وهى الصفة الثانية : أى لا يمدّ يَدَهُ إلى الحرام مطلقًا ، فقد ارتزق من حلال : فمطعمه حلال ، ومشربه حلال ، وملبسه حلال ، وغُذِّى من الحلال ، فهو نقى الكفين من أن تمتدَّا إلى الحرام .. نقى الكفين مما يحرم على المسلم كدماء المسلمين ، فلا يمد يده بالبطش إلى مُسْلم .. فيده بيضاء نقية من دم المسلمين ومن أموالهم ..

[**لا يَأْتِى إِلَى أَحَدٍ سُوءًا**] وهى الصفة الثالثة : وكلمة « أحد » دخل فيها المسلم والكافر والصالح والفاسق ، والغنى والفقير ، والصغير والكبير .. وكلمة « سوءًا »

---

[1] رواه مسلم ، كتاب البر والصلة . [2] سورة الْحَجّ آية ٣٢ . [3] رواه البخارى ، كتاب الإيمان .

دخل فيها كل ما يُسِيء .. فلا يأتى إلى أحد سُوءًا باللسان أو اليد ، فلا يَسُبُّ ولا يصخب ولا يلغو ، لأن مثل هذا العبد يعلم أن الله خلق الخلق وهم عباده ، وهو أعلم بـــهم من أنفسهم ، ويعلم من ختم لهم بالشقاوة ، ويعلم من ختم لهم بالسعادة وهو الذى يحاسبهم ..

وقد علَّمنا القرآنُ الأدبَ فيما حكاه عن « عيسى ابن مريم » فى يوم القيامة حيث أتى به ربه وأشهده على قومه : (ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ)[1] فهو يشهد حينذاك على الذين ألَّهوه ، وأشركوه مع الله ، فكـــان مصيرهم إلى النار ، ومع هذا نرى قوله : (مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ)[2] وهذا هو أعلى مراتب الأدب فى الكلام ، فحين تأكد له أن هؤلاء أشركوا وكفروا ، وأن الله سبحانه وتعالى قد غضب عليهم ، لَمْ يسبَّهم ، ولم يشمت فيهم ، ولم يسأل اللهَ لهم العذاب الأليم ، وإنما تلطف واستدرَّ الرحمة فقال : (إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيم) أى إنك حر تملك وتفعل ما تريد .. وهم فى كل الأحوال عبادك .. ويُلحظ أنه قال : (فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيم) ولم يقل : (الغَفُورُ الرَّحِيمُ) ، حتى لا يعزم على الله بالمغفرة ، فالله تبارك وتعالى عَزَّ فحكم ، وحكمه العدل ..

---

[1] سورة الْمَائِدة ١١٦ .
[2] سورة المائدة الآيتان ١١٧ ، ١١٨ .

فإذا رأيت عبدًا لله - على صلاح - فأعنه وادْعُ له ، وإن رأيته على معصية فاستره ، وانصحه سرًّا ، ولا تفضحه ، ولا تُسئ إليه ، ولا تَشْمت فيه ، فقد قال رسول الله (ﷺ) : (**لاَ تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لأَخِيك فَيُعَافِيَهُ اللَّهُ وَيَبْتَلِيَك**)[1] ..

[**وَلاَ يَمْشِى بِالنَّمِيمَةِ**] وهى الصفة الرابعة : فالنميمة من الكبائر ، وهى تعادل القتل ، والسرقة ، والرِّبا ، والزِّنا ، وعقوق الوالدين ، والشرك بالله .. فما هى النميمة ؟! .. « النميمة » هى الإيقاع بين الناس ، كأن تذهب إلى فلان فتحدثه عن مقالة فلان بأسلوب يثير حفيظته ويزرع البغضاء والعداوة فى قلبه سواء أكنت صادقًا أم كاذبًا ، فالصدق نميمة ، والكذب بُهْتان ..

[**تَزُولُ الْجِبَالُ وَلا يَزُولُ**] وهى الصفة الخامسة : أى لو تحركت الجبال فإن هذا الشخص لا يتزحزح عن إيمانه واستقامته أبدًا ، فهو ثابت على الإيمان والتقوى وعلى اليقين ، ومهما حدث له ومهما تعرض للفتـــن ، ومهما أُوذِىَ فى الله فهو لا يزول ولا يتزعزع يقينه ، ولا يتحول عن إيمانه وثقته بالله أبدًا ..

[**أَحَبَّنِى ، وَأَحَبَّ مَنْ يُحِبُّنِى ، وَحَبَّبَنِى إِلَى عِبَادِى**] وهى الصفة السادسة : ومثال ذلك إذا أحببت شخصًا فإنك تُحب كل شىء حوله وتُحب كل شىء يُحبه سواء أكانت أصنافًا من الطعام أم كانت أماكن وأشخاصًا يُحبها ، لأن محبوب المحبوب محبوب .. والإنسان الصادق فى حُبه لآخر يذكره على لسانه دائمًا ، وينتهز أى فرصة ليتكلم عنه ويحدث الناس عنه .. ولله المثل الأعلى .. فالْمُحِبُّ لله تبارك وتعالى يُحبُّ ما يُحبُّه الله ويذكره دائما بالحبِّ ، ويحببه إلى

[1] رواه الطبرانى فى المعجم الأوسط .

عباده بذكر سعة رحمته ، وعفوه ، وقبوله للتوبة .. ويقول النبى (ﷺ) لأصحابه : (**بَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا**)[1] ..

ويسأل « داود » : [**كَيْفَ أُحَبِّبُكَ إِلَى عِبَادِكَ ؟!**] فيقول الله : [**ذَكِّرْهُمْ بِآلائِى ، وَبَلاَئِى ، وَنَقْمَائِى**] و« الآلاَء » هى النِّعَم .. فإذا قلت لشخص : إن الله أكرمك وأعطاك كذا ، وفعل معك كذا ، وأعطاك الصحة والعافية – تذكِّرُه بِنِعَم الله عليه – شعر بفضل الله فاستَحيا من معصيته .. و« البلاء » : هو الاختبار ، فتذكره أن الله تبارك وتعالى يختبر عباده : (أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ) [2] .. وابتلاء ربنا وبلاؤه واختباره أمر يجعلك تطمع فى حُبه حتى يخفف عنك من الاختبار ، ويلهمك الصبر والرضا .. والله سبحانه يَختبر العبد بالشر والخير : (وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةً)[3] فإذا ذَكَّرْت عبدًا بالبلاء فسوف يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى يسأله اللطف فيما جرت به المقادير .. و« النَّقْمَة » : اسم من الانتقام ، فهى العقوبة ، فإذا ذَكَّرْت العبد بذلك خاف ، ومَنْ خافَ سَلِم ..

[**يَا دَاوُدُ ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يُعِينُ مَظْلُومًا ، أَوْ يَمْشِى مَعَهُ فِى مَظْلَمَته إلاَّ أَثْبَتُّ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامُ**] : وزوال الأقدام يوم القيامة يحدث على « الصِّرَاط » : وهو جسر ممدود على حافتى جهنم ، أدَقُّ من الشَّعْر ، وأَحَدُّ من السَّيْف ، يمر الناس عليه بحسب درجات أعمالهم : فمنهم من يمر مَرَّ البرق ، ومن يَمرُّ مَرَّ الريح ، ومن يمر مَرَّ الراكب المسرع ، ومن يمشى أو يحبو .. وهكذا .. ويوجد يمين ويسار هذا الصراط

---

[1] رواه مسلم ، كتاب الجهاد والسِّيَر . [2] سورة العنكبوت آية ٢ . [3] سورة الأنبياء آية ٣٥ .

« كلاليب » : وهى خطاطيف تخرج من جهنم تخطف الناس من على الصراط ، وترميهم فى جهنم .. فالذى يَمُرُّ مسرعًا يهرب من هذه الخطاطيف فلا تمسه بسوء ، أما الذى يتعثر فى مشيه فينكفئ على وجهه ، وتخطفه الكلاليب أو يسلم منها وقد نالت منه ، فمن ثُبِّتت قدمه على الصراط نجا ، ومن زالت قدمه هوى فى النار ..

والطريق للثبات على الصراط وضَّحَه الله لــ « داود » قائلا : [**إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يُعِينُ مَظْلُومًا ، أَوْ يَمْشِي مَعَهُ فِي مَظْلَمَتِه إِلاَّ أَثْبَتُّ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامُ**] فالظلم ظلمات يوم القيامة ، وقد حرم الله الظلم على نفسه ، وجعله بيننا محرمًا .. وإعانة المظلوم بنصره ، وإذا لم تستطع أن تدافع عنه أو تأتى له بحقه فلتعتبر أن الظلم الذى يعانيه قد وقع عليك أيضا فتستشعر ذلك ، وتمشى معه فى مظلمته ، وتحاول أن تتشفع له ، وتؤيده بالفعل والقول ، وتستعين بغيرك ممن يستطيع مساعدته ..

ويقول الله تبارك وتعالى فى حديث قدسى : (**اشْتَدَّ غَضَبِى عَلَى مَنْ ظَلَمَ مَنْ لا يَجِدُ نَاصِرًا غَيْرِى**)[1] .. ويقول فى حديث آخر : (**وعِزَّتِي وجَلالِي ، لأَنْتَقِمَنَّ مِنَ الظَّالِمِ فِي عَاجِلِهِ وآجِلِهِ ، و لأَنْتَقِمَنَّ مِمَّنْ رَأَى مَظْلُومًا فَقَدَرَ أَنْ يَنْصُرَهُ فَلَمْ يَفْعَلْ**)[2] .. فإعانة المظلوم والمشى معه فى مظلمته تثبت الأقدام يوم تزول الأقدام ..

اللهم ارْحَمْنَا بِتَرْكِ الْمَعَاصِى أبدًا ما أَبْقَيْتَنَا ..
وَارْحَمْنَا بِتَرْكِ ما لا يَعْنِينَا ..
وارْزُقنا حُسْنَ النَّظَرِ فيما يُرْضِيكَ عَنَّا ..
وثَبِّتْ أَقْدَامَنا عَلَى الصِّرَاطِ يومَ تَزولُ فِيهِ الأَقْدَامُ ..

---

(1) رواه الطبرانى فى المعجم الصغير .
(2) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير .

وبعد ..

أيها القارئ الكريم ، فهذا قَبَسٌ من نور ..

« الأحاديث القدسية » ..

قـــدَّمناه لـــك .. مُبـــتغين بـــذلك الأجـــرَ مـــن ((الله)) وحـــده .. راجين من ((الله)) العلـى القـدير أن ينفَعَـك بضـيائها .. وحِكْمَتـها .. وأن يُنيرَ قلبك بما جاء فيها من معان يعجز عنها الحكماء فى كل زمان ومكـان .. وقد حرصنا على أن ننتقى هذه المجموعـة الـتى بلغـت خمسـين حـديثا .. والـتى شملـت موضـوعات كـثيرة دُنيويَّـة وأُخرويَّـة .. وليست هذه كل « **الأحاديث القدسية** » فهناك المزيد منها والذى يُضىء نـورًا ، وحِكْمَةً للسالكين فى : **[الطريق إلى الله]** ..

ونأمل فى القريب أن نُضِيف منها مجموعات أخرى ..

و((الله)) الموفق والهادى إلى سواء السبيل ..

ونسأل ((الله)) تبارك وتعالى :

أنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا .. وأن يُعَلِّمَنَا ما يَنْفَعُنَا .. وأنْ يَزِيدَنَا عِلْمًا ..

إِنَّهُ عَلَى ما يَشَاءُ قَدِيرٌ .. وبالإِجَابَةِ جَدِيرٌ ..

وهُوَ نِعْمَ الْمَوْلَى .. ونِعْمَ النَّصِير ..

الكتاب القادم

٤ المَحْظُورَات

- ما يكبُّ الناس على وجوههم فى النار ..
- محظورات الكلام ، وأمراض اللسان ..
- هل يمرض القلب ويَأثم ؟! ..
- أمراض القلب ، وعلاجه ..
- كيف نلقى الله بقلب سليم ؟! ..
- هل يحاسب العبد على النِّيَّة ولو لم يعمل ؟! ..

الفهـــرس

رقم الإيداع ٧٧٩٥ ١٩٩١

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 – 04 – 0736 - 4

مجموعة كتب

الطريق إلى الله

١- هو الله

٢- الإسلام وأركانه

٣- من الأحاديث القدسية

٤- المحظورات

٥- من أخلاقيات الإسلام

٦- من مجامع الكلم

٧- التربية فى الإسلام

٨- فى رحاب الأصحاب

٩- نساء مؤمنات

١٠-التصوف ما له وما عليه

١١-من أحكام الإسلام

١٢-تأملات فى آيات من القرآن الكريم

١٣-من علوم القرآن وبلاغته

١٤-مناجاة

١٥-فى رحاب المصطفى المختار ﷺ

يُهدى ولا يُباع
جمعية المواساة الإسلامية
Site: www.mouassa.org
Email: mouassa1@hotmail.com

إصدارات

فضيلة الشيخ / ياسين رشدي

١- سلسلة كتب الطريق إلى الله (خمسة عشر كتابًا) .

٢- التفسير الجامع لمعاني القرآن الكريم .

٣- شرح كامل واف للأحاديث النبوية التي أوردها الإمام البخاري في صحيحه .

٤- مجموعة من الإجابات الواضحة على أسئلة في مواضيع شتى تَهُم المسلم في دينه ودنياه .

هذا .. والجدير بالذكر أن جميع الإصدارات السابقة متوفرة على شرائط مسموعة ومرئية وأسطوانات (cd) ، وموجودة أيضًا على الموقع الإلكتروني لجمعية المواساة الإسلامية www.mouassa.org

لجنة نشر الثقافة

جمعية المواساة الإسلامية بالإسكندرية

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ،،